التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط في التأريخ والكارتوغرافيا*

الاستاذة الدكتورة : جيني أوستيرله

قسم تاريخ العصور الوسطى

ترجمة للعربية: أحمد شعير

جامعة ريجنسبورغ –المانيا

"The Arab perception of the Mediterranean in historiography and cartography".

Prof. Dr. Jenny Rachel Oesterle, translated
Department of Medieval History
University of Regensburg - Germany

التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط في التأريخ والكارتوغرافيا*

الاستاذة الدكتورة : جيني أوستيرله، قسم تاريخ العصور الوسطى
ترجمه للعربية أحمد شعير
جامعة ريجنسبورغ –المانيا

"The Arab perception of the Mediterranean in historiography and cartography".

Prof. Dr. Jenny Rachel Oesterle, translated
Department of Medieval History
University of Regensburg - Germany

Abstract

This article entitled "The Arab Perception of the Mediterranean Sea in History and Cartography" is a description of the Mediterranean regions in the works of Arab and Muslim travelers and geographers; it explains the relations, the Arab-Islamic perception of the coasts, cities and peoples of the Mediterranean throughout the Middle Ages, which were described by Arab travelers and townspeople to give us an Arab-Islamic cartographic vision that paints pictures of the globalization of relations for the regions of North Africa and southern Europe.

In this context, we find a detailed mention of the names of cities and rivers on the coasts of the Byzantine Levant and North Africa, specifying their geographical location, as well as dealing with the Italian and Iberian coasts in general. Moreover, al-Masudi refers to some islands, such as Cyprus, Rhodes, Crete, and Sicily, and to a tributary of the Adriatic Sea, marking from the beginning of the outskirts of the Mediterranean Sea to the ocean (the surrounding sea), and beyond it the dark sea or "green sea". The same applies to both the Mediterranean Sea and the Indian Ocean; They were designed according to the marine navigation perspective. . We read a

description of the types of winds, deep and shallow waves, and in particular the dangers that one may encounter in these seas.
And a comprehensive definition of the diversity of the peoples who inhabited the coasts and beyond the Indian Ocean, and its spatial perceptions were never shaped according to an Arab-Islamic perception..
Keywords: - The Mediterranean Sea - the world of the Middle Ages - Arab Islamic maps - Islamic travelers and geographers - the history of navigation in the Mediterranean Sea - European coasts - North African coasts - .

الملخص

يـدور البحـث الموسـوم " التصـور العربـي للبحـر الأبـيض المتوسـط فـي التـأريخ والكارتوغرافيـا" وهـو توصـيف لمنـاطق البحـر الابـيض المتوسـط فـى مصـنفات الرحالـة والجغرافيين العرب والمسلمين ؛ وشرح العلاقات التصور العربي الاسلامي لسواحل ومدن وشعوب البحر الابيض المتوسط طيلة العصور الوسطى التى وصفها الرحالة والبلدانيين العرب لتعطينا رؤية خرائطية عربية اسلامية ترسم صور عولمة العلاقات لمناطق شمال افريقيا وجنوب اوربا .

وفي هذا السياق نجد ذكرا مفصلا أسماء المدن والأنهار على سواحل بلاد الشام البيزنطية وشمال إفريقيا مع تحديد موقعهم الجغرافي وكذلك تناول السواحل الإيطالية والأيبيرية بشكل عام. علاوة على ذلك، يشير المسعودي إلى بعض الجزر، مثل جزيرة قبرص، رودس، كريت، وصقلية، وإلى رافد البحر الأدرياتيكي، واضعًا علامة من بداية مشارف البحر الأبيض المتوسط حتى المحيط (البحر المحيط)، وما وراءه البحر المظلم أو "البحر الأخضر". الأمر نفسه ينطبق على كلاٍ من البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي؛ فقد تم تصميمهما طبقا لمنظور الملاحة البحرية. ونقرا وصفا لأنواع الرياح والأمواج العميقة والضحلة، وبالأخص المخاطر التي قد تواجه المرء في هذه البحار.

وتعريفا شاملا لتنوع الشعوب التي قطنت السواحل وعلى ما وراء المحيط الهندي، ، و تصوراته المكانية لم تتشكل أبدا وفق تصور عربي اسلامي .

الكلمات المفتاحية :- البحر الابيض المتوسط- عالم العصور الوسطى –الخرائط العربية الاسلامية –رحالة وجغرافيين اسلاميين – تاريخ الملاحة فى البحر الابيض المتوسط – السواحل الاوربية –سواحل شمال افريقيا –

١- محيط بدلاً من مركز: ما يسمى البحر "المتوسط"- بحر من بين بحار العالم من منظور عالمي عربي- إسلامي

جاء في النص القرآني عدة آيات تشير إلى الشرق والغرب والوسط. علي سبيل المثال: "قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [...]"، "وكذلك جعلنكم أمة وسطا [...]".[١] هذه الأمة الوسطى لم تشر إلى البحر المتوسط الأوروبي- لم تسميه بالبحر الأوروبي-ولكن دائما كانت تشير اليه باسم" بحر الروم" (وهو ما يعني تحديداً بحر الرومان الشرقيون أي البيزنطيون)، وكذلك سُمي بالبحر الشامي- البحر السوري- أو بحر المغرب (بحر الغرب). ويعتبر ذلك أمراً طبيعياً في الخيال الجغرافي في العصور الوسطي، حيث كانت خريطة العالم تظهر بشكل مختلف طبقا لمخيلة المرء للعالم الذي يتصوره جغرافياً، ومن أي زاوية يتأمل هذا العالم ويرسمه، وبناءً على المنظور المنهجي الذي يُنظر بها لهذا العالم.[٢]وبناءً علي هذا التصور، فإن الجزء الشرقي من العالم ينتمي إلي الأفق العربي في منظوره العالمي. هذا الأفق الذي اشتمل دائماً على الشرق والغرب: وهذا يعني قارة آسيا بما فيها الهند والصين متضمنًا كذلك أجزاء أخرى من أفريقيا وأوروبا.

ومن هذا المنطلق، أبحرت سفن المسلمين- عقب وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم- ليس فقط في البحر الأبيض المتوسط، بل في المحيط الهندي وبحر قزوين[٣]. ومن ثم، فقد وصلت الفتوحات العربية إلى البحر الأبيض المتوسط عقب وفاة النبي محمد ببضع سنوات[٤]،ومن ثم نجد أن العرب فرضوا سيطرتهم وهيمنتهم على ميناء قيصرية البحري الاستراتيجي في فلسطين في عام ٦٤٠ م، ثم ميناء الإسكندرية في مصر عام ٦٤٢. ومنذ أواخر عام ٦٤٥، بدأ العرب في إعداد أسطول بحري، وانطلقت أولي غزواتهم البحرية ضد بيزنطة في عام ٦٤٩[٥]. ونتج عن ذلك أن احتل العرب جزيرة قبرص[٦]، وامتد نفوذهم حتى قرطاج واستولوا عليها من البيزنطيين في عام ٦٩٨. وبعد ذلك بقليل وبالتحديد في عام

٧١١م، وجه العرب غزواتهم نحو شبه جزيرة أيبيريا، ليكتسب بذلك العرب (الفتوحات العربية) مساراً بحرياً حقيقيًا وهامًا عبر البحر الأبيض المتوسط[٧].

بلا شك، لم يكن توغل شعوب الصحراء في منطقة البحر الأبيض المتوسط هو الاتصال الأول أو الأوحد بالبحر. فنجد أن بدايةً من شبه الجزيرة العربية ومنذ تجاربها في فترة ما قبل الإسلام، حدث توسع عربي في الشمال والشرق وبنفس السرعة في اتجاه الغرب. فقد سيطر العرب علي أجزاء كبيرة من من إيران والعراق عام ٦٣٨- أي بعد أربع سنوات فقط من وفاة النبي محمد-وفي نفس العام توجه العرب من البحرين لاستهداف السواحل الهندية[٨]. وبالتزامن مع فتح شبة الجزيرة الإيبيرية في عام ٧١١م، وصلت الجيوش العربية إلى مقاطعة السند الهندية – التي تبعد ما يقرب ٨٠٠٠ كيلومتر من الحدود الباكستانية، ووصلت الجيوش العربية إلي عدة من موانى مثل مينائي دايبول والمنصورة[٩].

وإذن نجد، أنه لا يمكن فصل التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط سواء من منظور تأريخي أو كارتوغرافي (خرائطي)عن التصور العالمي "لشعوب البحر الأبيض المتوسط،" وكذا لا يمكن أن يكون ذلك بمعزل عن تصور البحار الأخرى. ومن هنا تنتج نظرة أخري، حيث يجب العدول عن وصف البحر الأبيض المتوسط بالأوروبي، والذي لم يكن موجوداً بهذا النطاق على أي حال من الأحوال في العصور الوسطى. لذا، يجب تضمين البحر الأبيض المتوسط في السياق التاريخي للنظرة العربية الإسلامية للعالم ووضعه في إطار عولمة العلاقات السياسية والاقتصادية والدينية عبر البحار المختلفة وممارستها. وتجنباً لتضخيم ارتباط العرب وعلاقاتهم الخاصة بالبحر الأبيض المتوسط، واستناداً على تقاليد العصور الوسطى، فيمكن القول أن الرؤية العربية للبحر الأبيض المتوسط مقارنة بالبحار الأخرى،[١٠] قدمت نفسها لتكون بمثابة بوصلة. من هنا نجد أن "التكوينات المكانية"[١١]للعصور الوسطى البحرية، نبعت من المنظور العربي للعلاقة بين المحيط والمركز مقارنة بالنظرة الأوروبية للعالم.

يري الكثير من الباحثين في مقدمتهم لهذا العمل،[١٢] أن مكان العصور الوسطى في التاريخ العالمي للبحار لا يزال غير محدداً.[١٣]سيكون من المبالغة محاولة تحديد "مكان العرب" في "تاريخ البحار العالمي". ومع ذلك، ينبغي أخذ الاعتبارات الأولية لهذ العمل في

الاعتبار وصياغتها في شكل أسئلة مباشرة للمصادر: ١) ما هي المكانة التي حددتها المصادر العربية للعرب أنفسهم في التاريخ البحري، وخاصة في تاريخ البحر الأبيض المتوسط؟ ٢) كيف قدمت أعمال العرب التأريخية والخرائطية أماكن البحار وتصورها، وبخاصة في الأعمال المتعلقة بالبحر الأبيض المتوسط؟ ٣) بأي شكل تم تصوير العلاقة بين الأماكن البحرية ببعضها البعض في مخيلة أو تصور العالم العربي؟[١٤]

يوجد نظرية شائعة لعالم الجغرافية الاجتماعية الفرنسي كزافيه دي بلانول (Xavier de Planhol) مضمونها: الإسلام غير متوافق مع البحار.[١٥]وفقاً لبلانول، لم تنجح محاولات الملاحة البحرية الإسلامية باستثناء رحلات قصيرة المدى، ولم تكن أبداً ثمة أي إمبراطورية إسلامية قادرة على فرض نفسها على البحار في المدى الطويل، ولم يكن هناك مجتمع مسلم يأتلف بالبحر. وفي رأيه، أن الآيات القرآنية والسنة النبوية دللت على التناقض بين الإسلام والبحر. بالإضافة لذلك، لم يُخصص الأدب الإسلامي جزءاً منفصلاً خاصًا بالبحر، وركزت معظم الأعمال الجغرافية على قصص المعجزات – عندما يتعلق الأمر بالبحر. ومن منظور تاريخي. توصل بلانول –بعد وقت طويل– إلى استنتاج مفاده فشل علاقة المسلمين بالبحر.[١٦]

ورغم ذلك، وُجهت انتقادات عديدة لنظرية بلانول التعميمية.[١٧]ومن الجانب الآخر وعلي عكس نظرية التضاد(الاستقطاب) التي تبناها بلانول بين "الإسلام" و "البحر"، فإن ما يلي لا يبنى على الدين وحده، ولا يستهدف نجاح وفشل سياسة العرب البحرية،[١٨] أو الترابط من خلال التجارة عبر البحار في الشرق والغرب.[١٩]بل الأهم بكثير، فإن ما نحتاج العمل عليه هو إبراز عملية التموقع الاستيطاني الذاتي العربي داخل البحر، وخاصة تاريخ البحر الأبيض المتوسط، وبالتحديد ما يخص التوترات الدينية والسياسية والاقتصادية بالأساس. بل أيضاً العمل على التصور العربي، وخاصة مناطق المحيطات في الوصف النصي وتدوين الخرائط. وقد تم ذلك بشكل نموذجي بناءً على المصادر التالية:

١- وصف البحار في الحولية العالمية. "مروج الذهب ومعادن الجوهر" لعلي بن حسن المسعودي" (٩٥٦ –٨٩٦)[٢٠]

٢- وصف البحار في العمل الجغرافي الخرائطي "كتاب صورة الأرض لابن حوقل" المتوفى في عام ٩٧٧ م.[٢١]

٣-صور البحار داخل كتاب من شمال أفريقيا، كتاب مجهول في علم الكونيات أو ما يسمي بالكوزموغرافيا "Kosmographie" بعنوان "كتاب غرائب الفنون وملاح العيون" [٢٢]وتم اختصاره تحت مسمي "كتاب الفضول" (من ١٠٢٠ إلى ١٠٥٠).

٤- أخيرًا، التمثيلات البحرية في "المقدمة" لابن خلدون، حوالي عام ١٤٠٠.[٢٣]

يمكن رسم المنحني الزمني لتصور معين لدار الإسلام،[٢٤]بداية من القرن التاسع وامتداداً إلى أوائل القرن الخامس عشر. أي بداية من المؤرخ البغدادي المعروف المسعودي ورسام الخرائط ابن حوقل –المولود بالعراق أيضاً– والمؤلف المؤثر صاحب "كتاب الفضول" في مصر، ووصولًا لابن خلدون. ومن زاوية أخرى، هناك وصف مختلف لمنابع البحار في النصوص، وبشكل مصور في الخرائط، كُتبت عليها بعض النقوش أو زُودت بتعليقات. من جانب أخر يمكن القول، أن هذه الأنواع من التشابكات المتعلقة بالبحر تمثل محور التساؤل الرئيس في هذا العمل، وكذلك الاهتمام بدوائر التواصل عبر البحار.

٢- البحر والبحار والبحر الأبيض المتوسط في الأعمال التاريخية للمسعودي

ولِد المؤرخ والجغرافي والفيلسوف المسعودي في بغداد.[٢٥]ونظراً لرحلاته الكثيرة إلى روسيا والهندو الصين وشرق إفريقيا ومصر، وتناوله لهذه الرحلات في أعمال كثيرة مثل مروج الذهب ومعادن الجوهر؛"[٢٦]أطلق عليه "هيرودوت المسلم"[٢٧].وقد كتب المسعودي تاريخ العالم – وخصص فيه قسماً للبحار – بداية من بدء الخليقة ووصولًا إلى الزمن الذي عاش فيه، متناولاً تاريخ شعوب مختلفة من العالم في الغرب و الشرق و الشمال و الجنوب. والملاحظ أن المسعودي عادة في أثناء وصفه للبحار؛ لم يبدأ بالبحر المتوسط. بل يبدأ وصفه المفصل للبحار،[٢٨] من خلال وصفه للمحيط الهندي.[٢٩] وينطبق هذا على كلا كتابيه: كتاب التنبيه[٣٠] وكتاب مروج الذهب[٣١].

ومن المتعارف عليه، أن المحيط الهندي –أكبر بحار العالم[٣٢] ازدحاماً بالسكان– ، يندرج تحت المصطلح الشامل المسمى بـ "البحر الحبشي"، وهو بدوره ينقسم[٣٣] إلى بحار منفردة. وبعد وصفه[٣٤] التفصيلي للمحيط الهندي، انتقل المسعودي من الشرق إلى الغرب، واصفا

الخليج الفارسي بـ " بحر الفرس". ويلي ذلك فصلاً عن المد[٣٥] والجزر، وعندها فقط يبدأ فصله[٣٦] الخاص بالبحر الأبيض المتوسط، ثم يتبعه وصف موجز للبحر الأسود في الشمال ووصف كامل لبحر[٣٧] قزوين. وإجمالاً ذكر المسعودي في كتابه اربعة بحور ضمن الجزء المخصص عن البحار. وتناول فيه روافد فرعية مثل رافد البحر الأسود شمال شبه جزيرة القرم.[٣٨]ومع ذلك لم يُدرج المسعودي البحر الأحمر –الذي زاره بنفسه على حد قوله–ولم يفرد له فصل خاص به. ومع ذلك، فإن عدد البحار الذي ذكره المسعودي مثير للجدل بالفعل؛ فقد افترض البعض وجود أربعة بحور، والبعض الأخر خمسة بحور، بينما زعم أخرون وجود ستة وسبعة بحور.[٣٩]

وعلى الرغم من ذلك فإن كل هذه البحار متصلة ببعضها البعض. ووفقاً للتدرج[٤٠] الذي سار عليه المسعودي، فإن ترتيب البحار كالتالي: البحر الأول المحيط الهندي (البحر الحبشي)، والثاني البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم)، والثالث البحر الأسود سمي (بحر البنطس)، يليه بحر قزوين (بحر الخزر)،وأخيرًا المحيط (البحر المحيط)، والبحر الأخضر والبحر المظلم. وتعتبر السواحل الغربية لأفريقيا وأوروبا –البحر المحيط– صالحة للملاحة، وإن كان ذلك بحذر، في حين أن البحر المظلم غير صالح للملاحة. ومن هنا يتضح أن ترتيب البحار لدي المسعودي على هذا المنوال، هي إشارة إلي المنظور العربي العالمي عن البحار في منتصف القرن العاشر. فبالنسبة للعرب، يقع البحر الأبيض المتوسط وكذلك "أوروبا" في اتجاه واحد فقط من بين وجهات نظر وتوجهات متعددة أخرى.

ورغم أن المسعودي، أدمج سلسلة فصوله الخاصة بالبحار، في إطار سجل عالمي يتناول تاريخ الشعوب المختلفة والسلالات والبلدان منذ عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي في الغرب والشرق، منذ بدء الخليقة حتى عصره. ومع ذلك، فإن الفصل الخاص بالبحار نفسه لا يتعلق بتاريخ سلالة أو شعب. ولم يكتب المسعودي مؤلفاته بتكليف من حاكم، بل أن سبب كتاباته غير واضحة. واعتمد المسعودي في كتاباته على مصادر إسلامية وغير إسلامية، الشفوية منها والمكتوبة، كما اعتمد بشكل أساسي على خبراته ومعرفته التي اكتسبها عبر رحلاته الكثيرة.[٤١]ونجد أن المسعودي نادراً ما يستشهد بأحاديث النبي محمد، واعتاد –بين الحين والأخر– الاستشهاد بأعمال المؤرخين المسلمين وعلماء الفقه والجغرافيين

والفلاسفة وتراجم المصادر القديمة،[٤٢] التي يتفحص كل منها ناقداً ومقارنًا إياها بالمعرفة التجريبية والمعرفة العلمية الرياضية. وكان المسعودي على دراية بمؤلفات وخرائط جغرافي الخليفة المأمون الذين قدموا مسحاً جديداً للأرض بتكليف من المأمون نفسه. ومع ذلك، لم تتضمن أعماله على أية خرائط مرسومة.[٤٣]

ومن باب المصداقية، ذكر المسعودي أنه أبحر إلى بحر الصين، والبحر الأبيض المتوسط وبحر قزوين والبحر اليمني والجزء الغربي من المحيط الهندي "بحر الزنج"[٤٤] . واعتاد المسعودي الرجوع إلى البحارة[٤٥] ذو الخبرة، في حالة وجود اختلافات في الأراء ووجهات النظر حول بعض البحار، من أجل الموازنة بين آرائهم وبينما تتضمنه المصادر المكتوبة. ففيما يخص المحيط الهندي والبحر الصيني والبحر الأحمر على سبيل المثال، كان المسعودي يستشير أولاً البحارة من مدن تجارية بحرية مثل عمان ومدينة سيراف التجارية على الخليج الفارسي (الخليج العربي). بالإضافة لذلك، اعتاد المسعودي سؤال البحارة العرب ذو الخبرة عن الخصائص الطبيعية للبحر الأبيض المتوسط، خاصة أولئك الذين نشأوا في سوريا (بلاد الشام) وأبحروا في البحر الأبيض المتوسط على متن سفن حربية أو تجارية[٤٦].يُبرز المسعودي على وجه الخصوص والي مدينة جبلة الساحلية السورية بالقرب من حمص (يدعي عبد الله بن وزير)[٤٧] كخبير، ويخبرنا بأنه لا أحد يعرف البحر الأبيض المتوسط أفضل منه.[٤٨]وأن جميع السفن الحربية والتجارية تتبع نصائحه لثقتها في معرفته التي اكتسبها من خلال سنوات خبرته الطويلة.[٤٩]

والتساؤل هنا، إلى أي مدى اكتسب البحر الأبيض المتوسط طابعه الخاص مقارنة بالبحار الأخرى؟ حيث يقع البحر الأبيض المتوسط وكذلك المحيط الهندي وبحر قزوين في إطار اهتمام المسعودي بالمناطق البحرية التي سافر إليها بنفسه. وربما يعود ذلك إلي صعوبة الوصول إلي البحر الأسود الذي كان يقع تحت السيطرة البيزنطية خلال حياة المسعودي، وإن كان ذلك نادراً إلي حد ما.[٥٠]ومقارنةً بالمحيط الهندي، لميحط البحر الأبيض المتوسط باهتمام كبير لدى المسعودي من حيث تناول أوصافه، ولكن عندما يقوم بإجراء مقارنات عن البحار فهو يفرد له فصولاً أخري لمناقشته.

يبدأ المسعودي كتابه عن تاريخ العالم بالموقع الجغرافي للبحر المتوسط، ويذكر العديد من أسماء المدن والأنهار على سواحل بلاد الشام البيزنطية وشمال إفريقيا مع تحديد موقعهم الجغرافي،[٥١] كذلك تناول السواحل الإيطالية والأيبيرية بشكل عام. علاوة على ذلك، يشير المسعودي إلى بعض الجزر، مثل جزيرة قبرص، رودس، كريت، وصقلية، وإلى رافد البحر الأدرياتيكي، واضعًا علامة من بداية مشارف البحر الأبيض المتوسط حتى المحيط (البحر المحيط)، وما وراءه البحر المظلم أو "البحر الأخضر". الأمر نفسه ينطبق على كلاٍ من البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي؛ فقد تم تصميمهما طبقا لمنظور الملاحة البحرية. كذلك تناول بالمناقشة أنواع الرياح والأمواج العميقة والضحلة، وبالأخص المخاطر التي قد تواجه المرء في هذه البحار.

تناول المسعودي في أوصافه البحار الصالحة للملاحة، المتعارف عليها لدى البحارة العرب الذين لديهم خبرة قوية بها. وعلي الرغم من تجول سفن العرب التجارية فيكثير من البحار، إلا أن المسعودي اقتصر في وصفه لسفن البحر المتوسط على الحربية منها. وهذا يعكس الرؤية المختلفة التي دخل بها العرب عالم البحر الأبيض المتوسط في الغرب والشرق. فقد جاءت الأهمية الكبيرة للسفن الحربية؛ من المواجهة بين الإمبراطوريات الدينية والسياسية المتنافسة في البحر الأبيض المتوسط. وعلي النقيض، كان المحيط الهندي معبراً تجارياً هاماً، فقد قامت العلاقات التجارية عبره منذ عصور ما قبل الإسلام. ومن خلاله انتشرت الدعوة الإسلامية الى حد كبير بالطرق السلمية لدرجة أن المحيط الهندي- على عكس البحر الأبيض المتوسط- وصف بأنه البحر المسالم.[٥٢]

فقط عند الدخول إلى مرحلة وصف البحر الأبيض المتوسط تتضح الحدود. فبالفعل، يبدأ الفصل الخاص بالبحر الأبيض المتوسط بعلاقة حدودية جغرافية صعبة. ومع ذلك، لا يمكن تجاهل أخطار الإبحار عند أعمدة هرقل (Herakles) أو طريق مضيق جبل طارق (Gibraltar)، الذي يربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر المحيط،[٥٣]وبالتالي بالعالم. غير أن علامات تحديد الطرق الأخرى، التي رسمها المسعودي، قد تشكلت بشكل عملي نتيجة السياسات الامبراطورية التي فرضها البحر الأبيض المتوسط. فبوصف البحر الأبيض المتوسط بحراً امبراطوريًا، فقد عكس هيمنة الإمبراطورية البيزنطية عليه.[٥٤]

ومن ثم فقد أكد المسعودي صراحةً على تعدد وتنوع الشعوب التيقطنت السواحل وعلى ما وراء المحيط الهندي، مع ذكر عدد لا يحصي من أسمائهم، والتي يصعب على أي جغرافي ان يصفها ويحصيها، ولكن الله هو وحده من يستطيع حصرها. تُظهر وجهة نظر المسعودي هنا، أنه بالنسبة له، فإن الوعي بالتكافل في "فضاء التفاعل البحري" (maritimenInteraktionsraum)،[٥٥] الذي يمتد من شرق إفريقيا إلى الصين، أمر لا يمكن تصوره، وهي سمة خاصة للمحيط الهندي، وفقًا ليورغن أوسترهامِل (Jürgen Osterhammel)، تميزه عن منطقة البحر الأبيض المتوسط.[٥٦] ويري المسعودي، أن شواطئ البحر الأبيض المتوسط تُشكل خطًا واحدًا من البلدان المزروعة، بعضها تحت الحكم الإسلامي، والبعض الأخر تحت الحكم البيزنطي المسيحي. على الرغم من هذه الاختلافات السياسية والدينية، فإن المسعودي يعتبر أن البحر الأبيض المتوسط كتلة واحدة مرتبطة بالتنمية المستمرة للدول المجاورة.

وهنا نجد أن وصف المسعودي للبحر ليس ارتيابًا ولا رفضًا من ناحية، أو عدم توافق بين الإسلام والبحر من ناحية أخري.[٥٧] قد يكون هذا بسبب مذهبه التجريبي في أسلوب عمله وانفتاحه على الثقافات الأخرى. كذلك لم يتضمن وصف المسعودي أي دلالة دينية، ولم يذكر أيًا من الآيات القرآنية المعروفة عن البحر، بل فقط حديث نبوي واحد، مع ذلك، يعتبره مشكوكاً في صحته؛ ولم يذكر أي أمثلة عن التشكيك الخاص بالبحر عند الخلفاء الراشدين الأوائل (الذين كانوا مرتابين تجاهه). فمجال الرؤية عنده لم يكن منصبًا على عظمة أسرة عربية حاكمة، كما أن تصوراته المكانية لم تتشكل أبدا وفق تصور عربي استعماري. فالمسعودي لم يكتب عن حدث بحري عربي يتضمن معارك البحرية أو فتوحات أو اكتشافات، التي يمكن أن تكون جزءا لا يتجزأ من قصة نجاح التوسع العربي الإسلامي.[٥٨]

لم يأت تصور المسعودي عن البحار في شكل مجموعة مؤلفات متسلسلة، بل جاءت في شكل عقد مقارنات مكررة بين البحار، مع ذكر أوجه التشابه والاختلافات والخصائص. كما أنه أظهر أهمية كبيرة لمشكلة الاتصال بين البحار. فوفقا لما ذكره، فإن كل المحيطات تتصل ببحار أخرى. فعلي سبيل المثال، البحر الأبيض المتوسط متصل بالمحيط الأطلنطي عبر مضيق جبل طارق، والبحر الأسود يتصل بالبحر الأبيض المتوسط عبر مضيق

البوسفور. كما أشار إلى المناقشات والآراء الخبراء حول الروافد غير المبررة من البحر الأسود إلى بحر قزوين، وبالتالي الاعتراف ببحر قزوين كبحر داخلي يمتلك مجالاً متسع.

يبين الفصل الخاص بالبحار لدى المسعودي أن البحار والمحيطات كان لها مكان ثابت في تخيلات صور عربي للعالم في عام ٩٥٠م. لقد قدم المسعودي منظورًا متطوراً ومختلفًا حول تبعية البحار للمساحات المتباينة بين الشرق والغرب والتي ظهر فيها الطابع الخاص لكل بحر، وهو الأمر الذي لم يكن معروف تمامًا للأوروبيين في هذا الوقت من الزمن. وكان مستندا هنا إلى فهمه "لتجربة العالم العربي المتنوعة "[٥٩]، وإلى فهمه للعالم من خلال السفر والمسح والحسابات من قبل العلماء والجغرافيين وعلماء الفلك بالإضافة إلى سعة المعرفة العلمية لدي علماء العصور القديمة والمسيحية واليهودية والهندية والعربية الإسلامية. وعلي الرغم من أهمية البحر الأبيض، إلا أنه لم يحظ بمكانة مركزية في ذلك التخطيط العالمي.

وإذن فقد أنشا المسعودي نصاً سردياً استطاع عبره أن يقدم وصفًا يشمل العالم المعروف آنذاك من مناطق برية وبحرية. واستندت تفسيراته إلى معرفة بخرائط الجغرافيين في عصر الخليفة المأمون لكنه لم يصورها ولم يصفها. ذلك أنه خلال حياة المسعودي، كان لدي رسامو الخرائط العرب معرفة كبيرة بالبر والبحر، والتي اكتسبوها في أوائل القرن التاسع من أعمال البطالمة التي تُرجمت إلى اللغة العربية، ومن خلال بعض الحسابات الخاصة، مثل الحسابات الفلكية وبعض التجارب الشخصية، لا سيما الجزء الشرقي خلال عصر ازدهار العباسيين عند دخولهم بغداد عبر الخليج الفارسي حتى المحيط الهندي.

وفيما يلي، فلابد من عرضًا مرئيًا للمناطق البحرية، إلى جانب السرد البلاغي . فمن الضروري أن يتغير المجال من نص إلى صورة، ولكن بحدود: نظرا لتميز خرائط البر والبحر العربية، فهناك دائما ارتباطًا جوهريًا بين النص والصورة، بين السرد والخرائط.[٦٠]من خلال الصور المنقوشة بالكتابة والأطروحات الوصفية المرفقة، نشأ لدينا محتوى خاص بالبحار نتاجا للتفاعل بين الكلمات والصور، ما خلق تصورًا مكانيًا مكثفًا للبحار.[٦١]

ومن الجدير بالذكر، أن البحر الأبيض المتوسط بالنسبة للعالم العربي الإسلامي هو بحر من بين البحار الأخرى، و كما هو ثابت في الأقوال، أنه دائما ما يلي المحيط الهندي أو

البحر الفارسي، يليه بحر قزوين الذي سيظل موجودًا لكنه سيكون مهملاً .ووفقًا لمصادرنا، يجب إبراز الخطوط العرضية/المتقاطعة بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط بأوزانهم المختلفة، وبقدر الإمكان، تمايزاتهم بالتفصيل. حيث إن التمحور حول البحر الأبيض المتوسط فقط، يعني انعزال العرب عن البحر. إن التمحور حول البحر الأبيض المتوسط بطريقة انفرادية يعني إسناد موقع انعزالي له عند العرب– المنظور المذكور سلفًا– وهو ما لا يتناسب مع النظرة الأوروبية مناسب في أوروبا. بدلاً من ذلك، تهتم النصوص والخرائط التي تم فحصها في المقام الأول بموازنة المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط ، مع إبراز الخرائط والأوصاف المتغيرة اعتمادًا على الظروف التاريخية مثل علاقات الحكم والسلالات. بقدر ما يُنصح بإجراء مقارنة ضرورية، إلا أن ما يلي سيركز أوصاف والأشكال الخرائطية (الكاتوغرافية) للبحر الأبيض المتوسط، دون أي النظر إلى ترتيب، وظيفة أو معنى ذات اشتقاق معين.

٣– رسم الخرائط إبان العصر الفاطمي

أولاً– خريطة العالم للخليفة المعز ووصف البحر الأبيض المتوسط الخاص بابن حوقل

يتعين على المؤرخين أن يتعايشوا مع الخسارة والدمار، كما يجب أن يتعايشوا مع الاكتشافات. فخريطة العالم لإيبستورف (Ebstrof) فُقدت ولا يمكن إيجادها[٦٢].وبالمثل فُقدت خريطة العالم للخليفة الفاطمي المعز من عام ٩٦٤. إلا أننا نمتلك وصف موجز لها فقط. فبحسب التقارير، فإن "مناطق الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها وطرقها، نوع من الجغرافيا، صُوِّرت على نسيج مصنوع من الذهب والحرير الثمين. اشتملت تلك الخريطة أيضاً على صورة لمكة والمدينة، بمثابة عرضها للمشاهد، وكُتب أسم كل مدينة وكل جبل وكل مكان ونهر وبحر وممر بالذهب والفضة والحرير وفي النهاية ثمة جملة مدونة نصا كالتالي: تمت بتكليف من المعز المشتاق إلى مقدسات الله عام ٣٥٢هـ –٩٦٤م.[٦٣]وعندما نقل الخليفة الإمام الفاطمي المعز مركز حكمه من شمال إفريقيا إلى مصر، وفي سبيل استكمال الانتقال إلى القاهرة العاصمة الجديدة التي تأسست القاهرة عام ٩٧٣، لم يقتصر الأمر على حمل أسلاف الحكام الفاطميين وأسلافهم معه فحسب، بل حمل معه أيضًا خريطة العالم الثمينة. وكان قد أمر بذلك بنفسه، لكي تجد تلك الخريطة مكانها في الضريح

الذي بني لأجداده في القاهرة. لا يزال وصف الخريطة يستدعي إلى الذهن سعي السلالة الفاطمية الممنهج وتوسعهم القائم على أساس ديني من أجل نظام عالمي يقع مركزه بالقرب من الأماكن المقدسة. تقترب شرعية واستمرارية وعالمية الحكم الفاطمي من بعضها البعض بالنسبة للمشاهد في خريطة العالم هذه، والتي تمثل الحكم. الإضافة إلى تمثيل القوة، فإن المتأمل لتلك الخريطة يجد فيها دلالة لرمزية استمرارية النظام العالمي للحكم الفاطمي من بعضها البعض لمتأمل خريطة العالم الفاطمية. هنا، ينغمس المشاهد في رؤيته ويتوجه في رحلة حج إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويصل الى رؤيتهما في الصورة، والبحرين المذكورين جزءًا ثابتًا في الخريطة.

سعى الخلفاء الأئمة من السلالة الفاطمية الذين حكموا شمال إفريقيا منذ ٩٠٩ ومصر منذ ٩٦٩، إلى إقامة حكم إمامي–فاطمي عالمي إمبريالي. وباعتبارهم إسماعيليين، أي أعضاء جماعة ذات توجه دعوي (تبشيري) داخل الشيعة، فقد خططوا للإطاحة بالخلافة السنية المتنافسة – وعلى المدى الطويل – للسيطرة على العالم بأسره. وعن طريق شبكاتهم التي وصلت إلى الهند، قاموا بجمع المعلومات حول الظروف السياسية والدينية والثقافية، ليس فقط حول البحر الأبيض المتوسط من شبه الجزيرة الأيبيرية، صقلية، جنوب إيطاليا، عبر بيزنطة، ولكن أيضًا الخليج العربي، خاصة اليمن والنطاق الإيراني وأخيراً الهند. وحقيقة تظهر خريطة العالم اهتمام الفاطميين بعلم رسم الخرائط أثناء حكمهم في شمال إفريقيا.

مازال الأمر يحتاج المزيد من البحث فيما يتعلق بمعرفة رسم الخرائط أو إنتاجها خلال الفترة الفاطمية. أنه لأمر غريب أن أسرة نشأت في شمال بلاد ما بين النهرين، ثم دخلت التاريخ من خلال التاريخ بتأسيس حكم لها في الطرف الغربي لشمال أفريقيا، بل ومؤسسها كان مبشراً متنكراً في زي تاجراً، وغالباً ما كان هارباً، وتنقل في أجزاء كثيرة من ديار الإسلام، وبوعي مكاني ذو مستوى عالي من المعلومات. علاوة على ذلك، الاهتمام بالتمثيل الإقليمي الكبير ودرايته أيضاً بالمساحات الشاسعة وبالطرق والممرات والمسافات سعى إلى حكم عالمي شرعي ديني. سوف توضع ثلاث خرائط كانت معزولة سابقا ذات سمات مختلفة جغرافياً في سياق الحكم الفاطمي تضم معلوماتهم حول البحار، وخاصة البحر

الأبيض المتوسط: خريطة العالم للخليفة المعز، خرائط ابن حوقل[٦٤]، كتاب صورة الأرض[٦٥]، كتاب غرائب الفنون وملاح العيون من مصر، كتاب الفضول في العلم وعجائب العيون.[٦٦]

قبل حوالي عشرين عامًا من اصدار الخليفة الفاطمي الخليفة المعز لدين الله أمره برسم خريطة العالم، كان الرحالة والجغرافي الشهير ابن حوقل ضيفاً في البلاط الفاطمي للخليفة المنصور عام ٩٤٧م.[٦٧]سافر ابن حوقل إلى شمال إفريقيا ومصر والصحراء الإفريقية وشبة الجزيرة الأيبيرية بين عامي ٩٤٧ و٩٥١. وفي عام ٩٥٥م، سافر إلى أرمينيا وأذربيجان ثم إلى شبة الجزيرة العربية والعراق وإيران وخوارزم وبلاد ما وراء النهر بين عامي ٩٦١م و٩٦٩م، وكانت محطته الأخيرة هي صقلية ٩٧٣م. ويمكن ملاحظة الأتي من خلال عقد مقارنة بين خرائط ابن حوقل ووصفه للأرض وبين خريطة العالم للخليفة المعز: ورد ذكر المحيطات مرتين في وصف خريطة المعز، و مسارين و ممرين وبيان بالمناطق. كما أن لكل شيء اسم مدون على الخريطة. إلا أن، خريطة العالم للخليفة المعز تتميز باختلاف ألوانها ومادة صنعها، وتمييز الأماكن المقدسة بها غيرها،[٦٨]وهو ما يجعل المشاهد لها يري الفرق بينها وكتب وخرائط ابن حوقل. وأيضاً عند تحديد الهدف فأن خريطة الخليفة المعز للعالم لا تخدم تمثيل قوة الحكم فقط، ولكن أيضاً تحمل معنى التأمل وإمعان النظر. فهي فريدة من نوعها، فقد ارتبطت بالحاكم والمكان وحملت بين طياتها دافع ديني. ومن ثم يتضح أنها معدة بشكل منهجي لاستشراق المستقبل واصباغ الشرعية (الفاطمية) على الماضي. تعتبر خريطة حوقل بمثابة مخطط جغرافي استقصائي تراكمي معرفي ومجرّد للغاية عن العالم، وتنضم إليها دار الإسلام، وهي موجهة إلى جمهور عربي، أي الحكام وذوي المهام القيادية وذوي المناصب العلي وكذلك الأشخاص من جميع المستويات والطبقات وفي كل الأزمنة.[٦٩]

كان ابن حوقل شيعياً وتحديداً إسماعيلياً، إذاً كان ينتمي إلى خلفاء شمال إفريقيا الفاطميين أصحاب المفاهيم الإيمانية المعادية لخلفاء بغداد المنافسين لهم. ويظهر ذلك من أعماله حيث أشار إلي مباركة الطائفة الإسماعيلية الذي يعود نسبهم إلى أئمة الفاطميين.[٧٠] ويعتقد بأن ابن حقول كان أحد الدعاة الإسماعيليين، كما يتضح من رحلاته.[٧١]وكرسام خرائط، ينتمي ابن حوقل إلى مدرسة بلخ،[٧٢]والتي تتميز بجودة عالية في رسم الخرائط

وبأعلى درجة من التجريد والخطية الواضحة. ووفقا لاعتقاده الديني، قام بتحويل الاهتمام الجغرافي أي باتجاه الشرق للخلافة العباسية بدلاً من منطقة البحر الأبيض المتوسط. وما يميزه في هذا السياق، أن إقامته ببغداد ولدت لديه معرفة جغرافية مبتكرة بهذه المنطقة. في حين أن أجزاء كبيرة من أطروحاته كانت مقتبسة من أعمال الجغرافي الاصطخري، والذي ينتمي أيضًا إلى مدرسة البلخية. إلا أن ذكر أنه أخذ عن ابن حوقل الفصول المتعلقة بمنطقة البحر الأبيض المتوسط في المغرب العربي وإسبانيا وصقلية. [٧٣]

يبدأ عمل ابن حوقل بوصفه للعالم وخريطة العالم[٧٤]مستنداً على أعمال الإصطخري، ويتبع ذلك وصف أحدي وعشرون إقليمياً فردياً، لكل منها خريطته الخاصة. على عكس خريطة العالم الشاملة، التي تقتصر على دار الإسلام بمناطقه المختلفة، وكلاهما كان شائعًا في مدرسة بلخ الخرائطية.[٧٥]تسعى خريطة العالم من جهة والخرائط الإقليمية من جهة أخرى إلى إزالة التوتر بين ما يمكن أن نسميه اليوم "العولمة والتموقع" أو "العولمة التوطين"[٧٦]، وكذلك فيما يتعلق بديار الإسلام والعلاقات خارجها. تشكل المحيطات إلى حد بعيد الجزء الأكبر من خريطة العالم، على الرغم من أنها تبدو أصغر نسبيًا بالنسبة إلى الأرض (انظر الشكل ١).

تشير الفصول والخرائط وكذلك النصوص والصور المتعلقة بالبحار إلى الاهتمام الكبير بها. وقد تم عرض الأرض على أنها ثلاثية الأبعاد وكروية ومصورة بشكل مسطح في دائرة محاطة بما يسمى بالبحر المحيط. وهي تبرز بذراعين بحريين، البحر الفارسي الكبير (بحر فارس) والبحر الأبيض المتوسط الأصغر (بحر الروم) في كتل اليابسة،[٧٧] التي تنقسم نصفها تقريبًا إلى جزأين شمالي وجنوبي من الأرض.[٧٨] والثالث هو بحر قزوين، والذي على عكس ما أعتقد بطليموس ومن ورائهم الأوربيين، يظهر بوضوح على أنه بحر داخلي. وإجمالاً نجد أن مساحة البحر ليس مدوناً عليه شيء فهو أقرب ما يكون إلى مساحة فارغة. وخرائطياً كان لكل من البحر الفارسي والبحر لأبيض المتوسط دوراً مزدوجاً، فهما من وجهة نظر بحرية كانا جزء من المحيط. ويدعم ذلك اتساع مضيق جبل طارق والبوسفور، حيث يتدفق البحر الأبيض المتوسط مباشرةً إلى المحيط الأطلنطي، تاركاً البحر الأسود. ومن وجهة النظر المسكونية (Ökumene)، تعد البحار جزءًا من العالم المزدحم بالسكان الذين

يتجمعون حول تلك البحار ذاتها. ومن ثم تُكون الأنهار مثل نهر النيل ونهر دجلة والفرات ونهر السند مع البحار على الخريطة عموداً فقرياً لترتيب البلدان والمناطق المحيطة. يمتد البحر الفارسي من الشرق على ذراع البحر الأحمر الذي كان يطلق عليه بحر القلزم، إلى أقصى الغرب في المنطقة المجاورة مباشرةً لمنطقة البحر الأبيض المتوسط. من ناحيةً أخرى إذا عقدنا مقارنة لصالح نهر دجلة فإن الخليج الفارسي أصغر من البحر الأحمر. وإلى الشرق يمتد البحر الفارسي عبر الهند إلى الصين كأقصى الحدود الخارجية. وفي الجنوب، تتمركز الحبشة وأرض(نهر) الزنج في المنطقة الساحلية لشرق إفريقيا.

يتناول جزء من النص الوصفي للعمل موقع مدينة القلزم بالذكر كعلامة حدودية بين الشرق والغرب والشمال المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط. من هنا تُرسم المسافة إلى الصين في خط مستقيم في رحلة تقدر بحوالي ٢٠٠ يوماً.فإلى أقصى الغرب ناحية المحيط الأطلنطي تستغرق الرحلة مئة ثمانون يوماً، ومن الطريق البري عبر العراق إلى حدود إيران حدود (دار الإسلام) إلى حدود الصين على المحيط أكثر من نصف عام بقليل. وعادة لا ينصح بالطريق البحري إلى الصين لأنه سيستغرق وقتًا أطول عدة مرات بسبب الالتواء والانحناء. بينما تبلغ مسافة الطريق من مدينة القلزم على البحر الفارسي إلى مدينة الفارما ثم إلى البحر الأبيض المتوسط، حوالي مسيرة ثلاثة أيام. وحسب العديد من المفسرين ثمة إشارات في السور القرآنية تشير إلي هذا الجزء من الطريق، ويشير ابن حوقل إلى حاجز بحري لا يمكن تغلبه يربط بين المنطقتين البحريتين(انشقاق البحر عند عبور موسي).[٧٩] بالإشارة إلى التفسيرات المقابلة، فأن ابن حوقل يقلل منالتحديد الديني للامر في تفسيره، ومع ذلك، ومن خلال الاستشهاد بالقرآن، يصف ابن حوقل مشكلة عبور هذا الحاجز من منطقة بحرية إلى أخري[٨٠]. أخيرًا، يقدر المسافة من أقصى الغرب على المحيط الأطلسي إلى شرق أقصى الأرض في الصين بحوالي٤٠٠ يوم. وعلي الرغم من أن ذلك حسابياً غير دقيق، لكن قياس المسافة باليوم على وجه التقريب تجعل الأمر أكثر سهولة من الناحية العملية، نظرًا لقربها من الحقائق المجربة والمعايشة من ناحية، ومن ناحية أخرى تقدم يعطي تصوراً أفضل لتخيل طرق الاتصالات في المساحات الكبيرة . وكذلك تؤدي إلى تطور الوعي

المكاني بالمساحات بشكل أوسع، وذلك حتى بالنسبة لأولئك الذين يتحركون في مساحات صغيرة.

ومن ثم، فالبحر المتوسط، الأصغر طولًا وعرضاً، والمسمى ببحر الروم وأحياناً ببحر المغرب، وهي التسمية التي تحمل دلالات جغرافية من ناحية وسياسية من ناحية أخري، حيث يمتد حتى مضيق جبل طارق الواسع الذي يصب في المحيط الأطلنطي. يمثل الخط الساحلي على الجانب الأوروبي بوضوح شبه جزيرة إسبانيا وإيطاليا وبيلوبونيز (Peleponnes) و كذلك خليج البندقية. وبالمقارنة بالبحر الفارسي، يشير الوصف النصي إلى أن الخط الساحلي مستقيماً. كما أنه يذكر بوضوح تسمية المناطق والبلدان في شبة الجزيرة الأيبيرية، ولكن بالكاد تظهر في الصورة الخرائطية كشبه جزيرة. وكذلك مناطق الفرنجة، والغال ولومبارديا و كالابريا، التي يمكن التعرف عليها كشبه جزيرة، وخليج البندقية، وشبه الجزيرة البيلوبونيزية، ومقدونيا، والقسطنطينية على مضيق البوسفور، حيث يتدفق البحر الأبيض المتوسط، إلى المحيط الأطلنطي، مرورًا بأرض السلاف على اليمين و أراضي يأجوج و مأجوج على اليسار. بهذه الطريقة تظهر أوروبا كجزيرة،[٨١] والتي تمتد عبرها علي الخريطة أفقياً تسمية "أرض البزنطيين". على ساحل آسيا الصغرى،مدون عليها أسم سوريا في المنطقة الواقعة بين الفرات والبحر الأبيض المتوسط.

وباختصار، تم تسمية عدد من بلدان ومناطق المغرب وبرقة وسرت و أجدابيا و طرابلس و إفريقية، الساحلي الشمالي الغربي الأفريقي من البحر الأبيض المتوسط. و باتجاه المحيط نجد مناطق طنجة، وعلى طول الساحل الغربي لأفريقيا سميت كلها أودغست (Audāġūst)الإسلامية (مملكة أودغست الإسلامية في المنطقة الواقعة بينه جنوب المغرب الأقصي والسودان)، ثم بلاد الكفر، وغانا، كوجا، ساما، جاريوا (Ghariwa)، والقزم. تحظى المنطقة الأسيوية بأكبر كثافة من المعلومات عن البلدان وأسماء الشعوب مثل البلغار والروس وخرسان والأرمن، بما في ذلك أذربيجان وخورجستان وبلاد فارس وما وراء النهر، و الهند والتبت والصين. كما ورد ذكر بحر أرال في النص على أنه بحر قاري داخلي.

وبعد تقديم وصفاً خرائطيًا ووصفيًا موجزاً لشكل صورة الأرض، تظهر من ثم مناطق ديار الإسلام في المقدمة. وهي ما يقتصر عليها هذا العمل، ولكن دون إغفال الكل. ومن حيث

الموضوع، هناك ثلاثة فصول وخرائط مكرسة بشكل موضوعي لوصف البحار. فبعد الفصل الأول مباشرًة، والذي يتعلق بمركز العالم الإسلامي شبه الجزيرة العربية،[٨٢] تناول الحديث عن البحر الفارسي الأعظم أو ما يسمى بالمحيط الهندي. ومع ذلك، لم يتناول المناطق المطلة على البحر الفارسي طبقًا لمفاهيم الخلافة في بغداد، في حين قدم وصفًا للمناطق الإسلامية المجاورة لمنطقة البحر الأبيض المتوسط. ويعد ذلك تحولاً كبيرًا في التركية باتجاه الشرق على حساب الغرب ومنطقة البحر الأبيض المتوسط، مما يبرز بوضوح ثقل الإمبراطورية الفاطمية ومجالات اهتماماتها. ثم نجد المغرب العربي، المقابل لشبه الجزيرة الأيبيرية، وكذلك صقلية، ثم مصر و سوريا بالكلمات و الصور في فصول مخصصة لذلك. وحصلت الثلاث مناطق الأخيرة لكل منها على خرائط إقليمية خاصة بهم. من ناحية أخرى ، جاء تصوير المغرب العربي وإسبانيا في خريطة منفصلة للبحر الأبيض المتوسط في الصورة. (الشكل ٢).

وجاءت صقلية تابعة –نوعاً ما– لإسبانيا والتي لم تُرسم لها خرائط مستقلة. من حيث درجة التفاصيل المسجلة، يبدو أنها قابلة للمقارنة مع بلاد المغرب. بالإضافة إلي جبل طارق، تشمل الخريطة عددًا من المناطق الساحلية المسلمة وغير الإسلامية الواقعة على المحيط الهندي. كانت هذه تصريحات متوافقة مع رغبة النفوذ الفاطمي في التوسع وتوجه لتوسيع العلاقات. إلا أن اللافت للنظر هو نقص المعلومات في الحديث عن منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط[٨٣] الخاضعة للحكم البيزنطي. وعلي النقيض، نجد غزارة في المعلومات عن المناطق الساحلية المطلة علي ساحل كالابريا (في النص تم تخصيصها لبيزنطة، بما في ذلك ما يسمى بخليج البندقية). فيما يتعلق بسياسة المصالح البحرية للفاطميين، مما يستحق النظر هو إطلاق أسماء على جزر أخرى للبحر الأبيض المتوسط إلى جانب صقلية. يتوافق هذا مع قياس قدرة القوتين المهيمنتين في البحر الأبيض المتوسط حينذاك، الإمبراطوريتان البيزنطية والفاطمية. وهذا يعني، أن قوة الأمويين في الاندلس لم تُأخذ بعين الاعتبار.

وطبقاً لابن حوقل، فقد بالغ المسلمون في تقدير قوة الإمبراطورية البيزنطية في عصره. حيث يمكن تقدير قوتها ومواردها المالية وازدهار سكانها في ذلك الوقت ما بين متوسط إلى

سيء، مقارنة بالمغرب الفاطمي الذي يضم عدد كبير من سكان البربر، أصحاب المثابرة والطاقة التي لا تصدق. وهو ما منح الإمبراطورية الفاطمية نفوذًا عسكريًا غير عادي، مكنها من غزو بعض المناطق البيزنطية مثل كالابريا والحصول على جزية سنوية منها. ولكن بسبب الخلاف بين المسلمين وتواتر الثورات والتمردات، وجد البيزنطيون مساحة أكبر من حرية الإبحار في البحر الأبيض المتوسط،[٨٤] وخاصة على الساحل السوري، وظهروا كقوة بحرية، في حين المسلمين، لا حول لهم ولا قوة سياسيًا وعانوا من أعباء الحروب وعواقبها.

إن الوصف الزمني الممتد عبر البحر الأبيض المتوسط لدي ابن حوقل – ما هو إلا صرخة: "صرخة الأرض التي تشتكي إلى الله من أسيادها!".[٨٥] بهذه الجملة، أنهي ابن حوقل فصله الذي خصصه للبحر الأبيض المتوسط والذي يشتمل على خريطة خاصة به.[٨٦] في النهاية، ظهرت منطقة البحر الأبيض المتوسط كونها منطقة نزاع سياسي عسكري وديني، حيث طالب الفاطميون بحكم الجزء الشرقي، (انظر الشكل ٣). وفي الثلث الأخير من كتاب ابن حوقل " صورة الأرض" نال ثالث البحار " بحر قزوين " قسطاً وافراً من الحديث فيما يخص موقعه، ووصفه بأنه بحر داخلي ذو تجارة نشطة بين البلاد الإسلامية،[٨٧] وتظهر تقسيمات الفصول وتسلسل الصور في عمل ابن حوقل، نوعاً من الانتماء للبحر الفارسي والدول المجاورة له، والتي تناولها لاحقًا في الخرائط والتقسيمات الإقليمية. ومع ذلك، فإن هذا النظام الديني يصور البحار كمحور عرضي بين شرق الأرض وغربها، والذي يتلاقى بدوره مع المحيط الهندي عند كلا الطرفين.

مع ذلك فإن تحديد المناطق البحرية في العالم بفصولها وخرائطها لا يكشف عن أي خصائص محددة للبحار والمحيطات. ولم تختلف أوصافهم من خلال الكلمات والصور اختلافًا جوهريًا عن الوصف الإقليمي. وعلى الرغم من إفراد مساحة نصية وصفية خاصة لمناطق المحيطات والبحار في النص والخريطة، إلا أنها بقيت محددة لدي ابن حوقل. كما أن منطقة اتصال البحار والمحيطات بالأرض قُلصت كاتوغرافياً إلى خطٍ كنتوري واضح. على وجه التقريب هذا الوصف المفصل ينطبق حصريا على الإقليم– الذي يطل على الأماكن الساحلية وما وراءها من بلاد ما وراء النهر. تحدد أشكال هندسية بسيطة مثل نصف دائرة أو أشكال هندسية متغيرة، شكل الأرض عند المصبات المفتوحة باتجاه المحيط،

ولكن عندما تفتح تلك الممرات المائية داخل الأرض فهي ترسم بخط حدودي واضح. لا تهدف الخرائط إلى تصوير الواقع، بل إلى تصوير مخطط تفصيلي واضح ومفهوم المعالم مع تسلسل محدد للمواقع.

تصطف المدن الساحلية المهمة على شكل العقد جانباً إلى جنب على حافة البحر الأبيض المتوسط في المغرب العربي وإيطاليا وسوريا. كذلك، على خريطة البحر الأبيض المتوسط، حيث توجد مجموعة من أسماء المدن على الجانب الإيطالي أكثر من تلك الموجودة على حافة الشمال الأفريقي وآسيا الصغرى بشكل عام، والتي تكملها وتصححها خريطة المغرب العربي الإقليمية مع تقديم تصور كامل للبحر الأبيض المتوسط. كلتا الخريطتان تتعلقان ببعضهما البعض في تقسيم العمل، مما يبرز أحدهما(على سبيل المثال المنطقة البيزنطية في أسيا الصغرى)، بشكل أقل من الأخرى.

من سمات المدرسة البلخية أنها تُبرز الطرق والمسارات على الخرائط. ومع ذلك، لم يذكر ابن حوقل طريقًا بحريًا واحدًا في الخرائط المرسومة، بينما يتم ذكر بعضها في النصوص المكتوبة. وتتميز بتقديم تحديدات واضحة المعالم لبرية الأرض، وهو ما تعتبره البحوث التاريخية البحرية عيباً. فلقد أعطت الطرق البرية التي رسمها ابن حوقل للمغرب العربي وشبه الجزيرة الأيبيرية نظرة ثاقبة للعلاقات والروابط بين الساحل والمناطق النائية في منطقة البحر الأبيض المتوسط. قبل كل شيء، توقظك النصوص على حيوية متعددة الألوان، وتنقل إليك ثروة من المعرفة التفصيلية، التي في الواقع لم تعرض لنا البحر الأبيض المتوسط فقط كبحر، بل جلبت لنا البحر الأبيض المتوسط كمنطقة اتصال أمام أعيننا. يوجد وصف سواحل وموانئ ومدن قريبة من الساحل، ومرافقها الميناائية وإمكانية الوصول إليها، وتحصينات المدينة وحالتها الدفاعية، ونوعية المياه، والمساجد، والمباني، والسكان، والإدارة، وأيضًا الجمارك و الضرائب و الرسوم الأخرى و كذلك نقل البضائع و منتجاتهم التجارية. وكذلك تناول بالسرد وصف القلاع وخاصة المنشآت العسكرية الدينية المرابطة (Ribbat) مثل مدينة مونستير (Monastir) على الساحل التونسي وعدد كبير من التحصينات لتأمين الساحل السوري. وانطلاقا من مدينة برقة، وهي محور بين الشرق والغرب ونقطة انطلاق الطريق إلى القيروان باتجاه الغرب، سنجد مدن اخري كثيرة مثل أجدابيا، سرت، طرابلس،

قابس، صفاقس، المهدية، سوسة، تونس، طناس، سبتة وطنجة وغيرها وأزيلا. ودومًا كانت تُوضع كل هذه المناطق والمدن في إطار علاقة مزدوجة: ما بين المنطقة المحيطة والمناطق النائية البعيدة من ناحية أخرى، حتى لو لم تمتلك مرفأ أو ميناًء مباشر علي البحر.

من ثم، فحركة الاتصال بين البر والبحر، سواء كان ذلك مع الواحات القريبة أو البعيدة، يتم بواسطة سفن تجارية من إسبانيا أو الإمبراطورية البيزنطية. ومن ثم فجميع الأماكن المذكورة بالاسم ترتبط ببعضها البعض من خلال المسارات والطرق، بحيث تمتد منطقة البحر الأبيض المتوسط في شمال إفريقيا من مدينة إلى مدينة كشبكة من الطرق والاتصالات المكثفة، والتي يبدأ بعضها من وإلى البحر، والبعض الأخر طرق برية. تشتمل هذه الشبكة على مسافات كبيرة. فلعي سبيل المثال، تلك التي تمتد من الفسطاط إلى طرابلس ثم إلى المنطقة الإفريقية أو الشرق أو الغرب، وإلى بيزنطة وكذلك إلى إسبانيا أو عبر المراكز التجارية حتى العمق الأفريقي. وكذلك تلك التي تمتد إلى غانا على الساحل الغربي الإفريقي.

وبهذه الطريقة تظهر منطقة البحر الأبيض المتوسط وما ورائها كمنطقة شاسعة مليئة بالحركة. كل شيء يتحرك تقريبًا، تجار، متسوقون، بائعون، العديد من السلع والموارد الطبيعية والمنتجات، والتي من قريب أو بعيد تتقابل في الأسواق وتنتقل على متن السفن أو القوافل. ويري ابن حوقل أن التجارة وحركة البضائع، وأمن السكان وازدهارهم يكون خلال إدارة جيدة ناجحة، دون تدخل. وفي تقيمه لتلك الإدارة الناجحة، نجده أولاً يُقيم الأحوال الأخلاقية الدينية مع الثناء على الإمامه. ثانياً: يقيم كفاءة الإدارة ودخل الضرائب والجمارك والتحصينات العسكرية. وعلى الرغم من التجارب الزائدة او ما يمكن تسميته بالتشبع الخبراتي التجريبي، هناك وجهة نظر ذات شكل ديني تستند إلى فكرة قابلية تغير الظروف القائمة. وهو ما يعكس رؤيته–ابن حوقل– من منظور اسماعيلي–فاطمي دعوي في كل شيء في نفس الوقت.

ثانياً: صورة البحر الأبيض المتوسط والبحار والعالم في كتاب الفضول

تركز المحاور الأساسية لكتاب "الفنون وملاح العيون" والذي يعرف باسم "كتاب الفضول وعجائب العيون،"[٨٨] الذي كُتب في مصر بين عامي ١٠٢٠– ١٠٥٠، على منطقة البحر

الأبيض المتوسط، وبشكل رئيسي على منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط وشماله. عُرض هذا الكتاب في مزاد عام 2002، وقامت مكتبة بودليان في أكسفورد باقتنائه واتاحته للجمهور الأكاديمي. كُتب هذا الكتاب بعد كتاب ابن حوقل بحوالي مئة عام، غير أن مؤلفه وناشره مجهولان. تناول الكتاب الخرائط التي تناولتها الكتب الكاتوغرافية للخلافة الفاطمية. واشتملت النصوص المصاحبة لتلك الخرائط علي تبجيلات إيمانية لخلفاء الإمامة الاسماعلية.[٨٩]وتختلف أساليب وصف العالم و البحار اختلافاً جوهريًا عن جميع الأساليب المعروفة سابقًا في علم رسم الخرائط العربية (الكاتوغرافيا العربية) ، بما في ذلك الخريطة الشهيرة الذي رسمها الأدريسي المتوفي حوالي ١١٦٦، لملك صقلية النورماندي "روجر الثاني" (تولي من ١١٣٠ إلي ١١٥٤). يعد كتاب الفضول عملاًت خطيطي جغرافي–كوني (kosmographischer) شامل، لمؤلف إسماعيلي فاطمي، من خلال المحتوي النص وكذلك الصور. يحتوي الكتاب علي خريطتين عالميتين بالإضافة إلى خرائط إقليمية أخري، بما في ذلك إحدى خرائط البحر الأبيض المتوسط، وجزيرتي صقلية و قبرص و المدينة الساحلية في شمال أفريقيا تينيس (Tinnis) و المهدية (العاصمة الفاطمية السابقة)، بالإضافة إلي المحيط الهندي و بحر قزوين. جميع الخرائط مصنفة بالتفصيل. بالإضافة إلى ذلك، هناك فصول نصية مستقلة عن الخرائط، على سبيل المثال حول قياس الأرض، وفيما يتعلق بالبحار، وفصل عن البحار والجزر والموانئ.[٩٠]

علاوة على ذلك، اقتبس مؤلف الكتاب بشكل مكثف كثير من المعلومات من سابقيه من العصور القديمة، ولاسيما جغرافية بطليموس.[٩١] في الوقت نفسه، يُدمج ذلك في إطار المعرفة العلمية والجغرافية ذو الصبغة العربية. على سبيل المثال، يتحدث عن جهود الخليفة العباسي المأمون (٨١٣–٨٣٠م)لإعادة الحسابات الأرضية الجغرافية، وذلك بمساعدة المساحين وعلماء الفلك.[٩٢]كذلك استعان بأعمال المسعودي[٩٣] وابن حوقل.[٩٤]وبالإضافة إلى ذلك، وكما يؤكد صاحب الكتاب نفسه، فإن أهل الخبرة من التجار والبحارة وربان السفن كانوا من ضمن مصادره الأساسية التي اعتمد عليها في بناء كاتوغرافيته (كتابه الخرائطي)، وذلك بعد تحديدهم والتحقق من معلوماتهم المنقولة إليه.[٩٥]

يحتوي الكتاب على خريطتين للعالم من أنماط مختلفة، وكلاهما يمثل البحار الثلاثة، والمحيط الهندي، والبحر الأبيض المتوسط، وبحر قزوين. ومع ذلك، لا يبدو المحيط الهندي أكبر من البحر الأبيض المتوسط في كل من خريطة العالم المستديرة والأخرى ذو الزوايا أيضاً، ولكنه يشغل الآن نفس المساحة تقريبًا. وعلى عكس رسامي الخرائط البلخيين العاملين في بغداد وحولها، فإن البحر الأبيض المتوسط كان أكبر وأكثر بروزاً في المنظور العالمي لرسامي الخرائط الإسماعيليين الذين عملوا في مصر. حيث أن تصور العالم على خريطة مربعة في كتاب الفضول، يعد أمرًا فريدًا من نوعه. فنجد أن قارة أوروبا تظهر في شكل جزر محاطة بالمياه.[٩٦](انظر شكل ٤).

من ناحية أخرى، فإن خريطة العالم المستديرة تشبه إلى حد كبير خرائط مدرسة "بلخ"، على الرغم من أن أسماء الأماكن مأخوذة من مصدر آخر (أنظر شكل 5).[٩٧]علاوة على هذا، نجد أنها مصحوبة كذلك بخريطة الحاكم النورماندي روجر الثاني من قبل الإدريسي،[٩٨]والتي تسبقها بحوالي مئة عام. في صقلية تم إنشاء خريطة العالم التي رسمها العالم العربي الإدريسي (1100–1166)، والتي يمكن اخضاعه للمقارنة كذلك. فمن خلال نظرة عابرة، هناك بعض الإشارات التي تُشكك في وجود صلة وثيقة بينها وبين كتاب الفضول. بل أن هذا الافتراض يذهب بعيداً بالتشكيك في نسب خريطة الإدريسي له، زاعمًا أنها كانت مرفقة بكتاب الإدريسي دون أن تكون من صنعه (أنظر شكل 6).[٩٩]

الخرائط الموجودة في كتاب الفضول لم يتم تصميمها حسابياً وفقاً للإحداثيات الجغرافية. فوفقًا للإحداثيات؛ تم البحث الدقيق عن الخطوط الساحلية دون جدوى، على الرغم من وجود مقياس على الخريطة المربعة.[١٠٠]ونجد كذلك أن الخرائط قد قلصت من حجم الأشكال الهندسية بشدة، لسببين ساقهما مجهول: السبب الأول لتوضيح قائمة الأسماء، أما السبب الأخر فلتغيير مجرى الساحل على المدى الطويل. وهنا يوضح رسام الخرائط في فصله عن البحار والجزر والموانئ، أنه لا يجب النظر لخرائطه أو فهمها على أنها صور دقيقة.[١٠١]ومن ثم، يمكن ملاحظة الفارق والمتغيير بين الأرض والمياه: في كثير من الأحيان تشق المياه طريقها إلى الأرض وتتغير السواحل والعكس، حيث تتغلغل كتل اليابسة في الماء، كما هو الحال في الإسكندرية في البحر الأبيض المتوسط.[١٠٢]لذلك، تتحرك السواحل

بشكل طبيعي في مساحات متغيرة في المنطقة الحدودية بين البر والبحر. كما أن هذه الكتاب يتحدث عن الأهمية التي خصصها رسام الخرائط للبحار حيث إن الخريطة الإقليمية الوحيدة من المنطقة الأسيوية هي خريطة للبحر وليست خريطة لدولة ما، وبالتحديد خريطة المحيط الهندي. كما أنه صور كل من البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي بشكل متماثل تقريبًا في خرائطهما الإقليمية(انظر الشكلين ٧-٨).

وهنا نجد أن شكل البحر بيضاوي، وتشير الدوائر المكتوب عليها في المنتصف إلى الجزر. ومع ذلك، إذا نظر المرء إلى الخرائط بالتفصيل، يمكن ملاحظة أن رسام الخرائط المصري كان أكثر دراية بظروف البحر الأبيض المتوسط، وخاصة الجزء الشرقي منه، عن إدراكه لطبيعة المحيط الهندي أو منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط. علاوة على ذلك، رسمال خرائطي في كتابه المذكور سلفاً حوالي ١٢٠ جزيرة في البحر البيضاوي الشكل والذي يمثل البحر الأبيض المتوسط، مدون عليهم أسمائهم. بالإضافة إلى وجود ١٢١ ميناء مصطفة على هيئة دوائر على مسافات منتظمة حول شواطئ البحر الأبيض المتوسط والتي تقع على الشريط الساحلي الإسلامي والبيزنطي. كما نجد تكرار للمعلومات مراراً وتكراراً. وتحمل الخريطة عنوان البحر الغربي أي البحر السوري وموانئه وجزره ومراسيه ؛[١٠٣]تم تحديد اتجاه السماء غربًا من مكان يقع بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، والبحر الشرقي.[١٠٤]في حين أن هذه المرافئ كانت في الأساس موانى عسكرية، ومن ثم فالبحر الأبيض المتوسط لم يكن بأي حال من الأحول يمثل مساحة أو مساحة غير ذي صلة بالأحداث. فمن وجهة نظر الرعايا الفاطميين، هذه المنطقة تقدم نفسها على أنها منطقة عسكرية استراتيجية مضطربة، حيث إنها مجالاً خصب للمناورات العسكرية بأسطول مجهز تجهيزًا جيدًا. وتحت مسمى الجهاد، دارت فيها المعارك في البحر، ومنها وصلت الحملات العسكرية إلى جنوب إيطاليا بالإضافة إلى حملة وصلت إلى إسبانيا.[١٠٥]

بالمقارنة مع شمال إفريقيا والمنطقة البيزنطية، يظهر الغرب المسيحي، مثل إيطاليا، وكذلك إسبانيا الإسلامية، بوضوح في الخلفية. لا يحتوي الكتاب على خريطة خاصة لجزر المحيط الهندي،[١٠٦] ولكنه يحتوي على خريطتين مفصلتين لجزر البحر الأبيض المتوسط، مع وجود خريطة خاصة بصقلية (تاريخيًا أول خريطة على الإطلاق كانت لجزيرة صقلية)

وأيضًا لها فصل نصي فرعي مفصل. ويمكن تفسير ذلك أن لجزيرة صقلية دورًا بارزًا في مسار الجهاد الإسلامي، بل ولعبت دوراً في الصراعات العسكرية المستمرة مع البيزنطيين من ناحية أخري[١٠٧].

أضيفت كذلك خريطة لجزيرة قبرص، وهي أمر جدير بالملاحظة حيث إن قبرص لم تكن جزءًا من دار الإسلام في ذلك الوقت. أيضاً تضمن خريطة لمدينة المهدية، وهي العاصمة السابقة للخلافة الفاطمية ومدينة تجارية مهمة، مع إضافة وصف لقصورها، وقائمة بالمحطات على الطريق البحري إلى صقلية. ويشير إلي وجود أكثر من ثلاثة عشر مراسي مؤدية إلى جزيرة بانتيليريا حتى باليرمو. وهذا يشير إلى الترابط العملي القائم حينذاك من ناحية، والأهداف السياسية والعسكرية الحقيقة للفاطميين تحت بطانة دينية من ناحية أخري. ومن ثم يمكن القول إن كتاب الفضول موجه بشكل رئيسي لعالم البحار، مدوناً بشكل أساسي الطرق البحرية.[١٠٨]

٤- نتيجة مبدئية

كما توضح الأمثلة السالفة الذكر كيف تغيرت التجارب المكانية، والقياسات المكانية، والمفاهيم والرؤى المكانية، والإدراك اللغوي والبصري المكاني للأرض والبحر في العالم الإسلامي في منتصف القرن التاسع ومنتصف القرن العاشر، وكيف اختلفت وكيف كان الاختلاف من واحدة لأخرى. وتم تقديم عدة أمثلة من التأريخ والكاتوغرافيا (علم رسم الخرائط) والوصف النصي والمصور، علاوة على الأشكال المختلفة من عصور واستعارات متشابكة - استعارات نسبية - العلاقات الغامضة النص والصورة. تم اختيار المسعودي، و هو مؤرخ من العراق متعدد اللغات وفيلسوف تجريبي متعلقًا بالتقاليد الدينية الإسلامية، وابن حوقل ، رسام خرائط كثير السفر ، يرجع أصله إلى الدولة العباسية ، و لكن لديه ميل ديني و سياسي إلى الخلافة الإسماعيلية التابعة للفاطميين على ساحل البحر الأبيض المتوسط بشمال إفريقيا و أخيرًا المؤرخ المجهول الهوية من مصر الفاطمية ، الذي كان يعرف المسعودي و ابن حوقل أيضًا و يأخذ عنهم . ومع معرفة الموروثات المختلفة وأساليب رسم الخرائط، نشأ نوعًا جديدًا من وصف العالم والبحار. حيث تستطيع أن ترى في النص كيف

تم تقديم البحار وعلاقاتها الدائمة بتغيرات الأرض وكيف يتحرك نظام الأحجام و كيفية تحول مركز ثقل جغرافي و كيف يتم وضع معرفة تفصيلية بطرق مختلفة لمساحات منفردة.

ظهر اتساع ديار الإسلام أمام الأعين بانضمامها إلى الطرق سواء كان عن طريق الحجاج أم الطرق التجارية، عبر البلدان و البحار، ولكن أيضًا عن طريق التنوع و التمييز، وأخيرًا عن طريق تنقل الأشخاص و السلع و البضائع و المعرفة و الاحتياطات الأمنية الاستراتيجية العسكرية في مناطقها و منطقة الاتصال مع غير المسلمين. كان الجغرافي والمؤرخ المتجول ابن حوقل، كما ذكرنا سابقًا، ضيفًا على البلاط الفاطمي ، أكد ابن حوقل بما لدية من معرفة و معلومات جديدة على الهيمنة الفاطمية على البحر الأبيض المتوسط . كلف الخليفة الإمام –المؤرخ المسعودي بعمل خريطة رائعة للعالم، وأن يسافر آلاف الكيلومترات لكي يعلقها على جدران مقر حكمه الجديد بالقاهرة.[١٠٩]

أن رسم الخرائط في السياق الفاطمي كان له مكانة عالية. فلم يخدم علم الخرائط أغراضًا عملية فحسب، بل أيضًا هدف إلى تمثيل السلطة وإضفاء الشرعية عليها في سياق كاتوغرافي. فكانت الخرائط تُوضع في أماكن ذو دلالة ورمزية من أجل النظر إليها، وكذا بهدف التأمل في التمثيل التصويري للأماكن المقدسة وانعكاس بطابع شبه ديني لمستقبل الهيمنة الإسماعيلية على العالم. وطبقاً للادعاءات الفاطمية، فهناك ارتباط بين الهيمنة المكانية على العالم ورسم الخرائط الجغرافية والذهنية للعالم، والذي إليها تنتمي البحار حيث تلعب الحسابات الرياضية الدقيقة دورًا أقل أهمية من التدوين الواسع لمناطق البحار واليابسه في المناطق الإسلامية وفي العالم ككل. تم ذلك من خلال تصورات وأشكال يسهل فهمها وادراكها. هذا بالإضافة إلي المعرفة الجغرافية والوعي المكاني الذي تم تعزيزه من خلال النص والصور، علاوة على الاستحضار الذهني صورة اتساع مملكة دار الإسلام و فهم عالم البحار الكبرى. الأمر الذي جعل الوصول إلى المعرفة الجغرافية أمراً سهلاً، هادفاً بذلك إلى إبراز انفراد والتميز دار الإسلام وأجزاءه المختلفة. وفي ذلك تسهيل وإيحاء إلي فكرة تصوره وتمثيله، وازدهار روح التأمل، وهو ما زاد من سهولة التخطيط العملي (البراغماتي) للرحلات في الوقت ذاته، و كذلك القدرة على التذكر والتوجيه أو الإرشاد.[١١٠]

ومن هنا يمكن القول، أن ما ذكره ابن حوقل ومؤلف كتاب الفضول جاء من منظور الفاطميين عن ترتيب البحار حسب حجمها، جاء في صالح البحر الأبيض المتوسط. وقد ظل المحيط الهندي وبحر قزوين من العناصر الرئيسية في التصميم الجغرافي العالمي، إلا أن البحر الأبيض المتوسط زاد حجمه ونمي بشكل جعله أقرب إلى حجم المحيط الهندي. وكلا الكتابان يحتويان علي معلومات أكثر دقة عن جزر البحر الأبيض المتوسط وموانيه ومدنه الساحلية، من تلك التي دونها المسعودي، والتي ترجع للعصر العباسي، والتي كان يُعمل في ذات الوقت لدي رسامي الخرائط المنتمين لمدرسة بلخي باستثناء ابن حوقل. لا يزال العالم وبحاره العظيمة موجودة، لكن التركيز الآن حول البحر الأبيض المتوسط. وهذا يتعلق ب "مكانة/وضع" الخريطة في الحياة والبيئة المحيطة برسام الخرائط، وفي نظام الحكم ذاته في إطار السياق الذي عمل فيه. على عكس الدولة الأموية والدولة العباسية، كان الفاطميون في الواقع قوة بحرية في البحر الأبيض المتوسط، وكان لديهم أساطيل، وخاضوا معارك بحرية مع بيزنطة، وقاموا بغزو الجزر وتقدموا حتى وصلوا إلى جنوب إيطاليا وصقلية، وتقدموا لفترة وجيزة في الساحل الإيبيري. ومع ذلك، فقد سعوا دائما إلى جعل التوسع نحو الشرق في اتجاه الأماكن المقدسة وبغداد في المرتبة الاولي، ثم ما وراء شبه الجزيرة العربية نحو الهند، حيث يمكن تتبع أثر الدعاة الفاطميين حتى وقت مبكر من القرن العاشر.[١١١]

ويأتي هذا بينما يظل المحيط الهندي الأكثر حضورًا، لكن الفاطميين كانوا هم فقط القوة البحرية الممثلة في البحر الأبيض المتوسط. على عكس المسعودي (المتشكك دينياً)، فإن ابن حوقل ومؤلف كتاب الفضول يرتكزان على أساس ديني كأعضاء في العقيدة التبشيرية الدعوية الإسماعيلية. فهم ينقلون منظورًا دينيًا عن عالم زمانهم، مع جعل الأماكن المقدسة محوراً رئيساً، وتقديم دار الإسلام كمنطقة مركزية للتوجهات (الجغرافية). كما أنهم، خلقوا تصوراً ذو قيمة أعلي لمنطقة شمال إفريقيا وشرق البحر الأبيض المتوسط، والتي مثلت قاعدة قوة الخلفاء الأئمة الفاطميين.

تعكس الخرائط والأوصاف الأدبية، التي تم تناولها هنا للبحر الأبيض المتوسط، شيء ما من المعرفة والوعي في وقت كتابتها، والتقديرات المختلفة للمساحات؛ كما أنها تعد تدريباً

على فكرة التوسع. وأيضًا تعكس مواقع وأصل مؤلفيها. نال التناسقات الموضوعية الاهتمام الأوسع اجتماعيًا والمثير للبهجة والمتعة الجمالية في التصوير الطبيعي للمساحات والحركة المتخيلة فيها. ومن هنا، مَثّل التصور والتخيل الأدبي للمساحات وما بها من حركة خيالية الاهتمام الجماعي الأكبر والمثير للبهجة والجمال. وهذا يشمل التأمل الهائل تجاه الأماكن المقدسة مع ولع الشوق الديني إليها وكذلك التفكير في شخصيات الحكايات الخيالية المحبوبة من مدينة بغداد مثل السندباد. كذلك، يتشارك الجميع في زيادة الأدراك الوصفي والخبرة بالأماكن وبناء الوعي المكاني التجريبي العالمي والبحري في العالم العربي. وكما يتضح من المؤلفين وعناوين كتبهم، فإن الهدف من هذه الانتاجات (الأدبية والخرائطية) لم يخدم المصالح العملية للملاحة البحرية بشكل مباشر أو التجارة عبر البحر والبر، أو المصالح العسكرية أو المعرفة المكتسبة فحسب، بل كان ذلك من أجل الإثارة والمتعة واكساب الجمهور (الاهتمام الجماعي)، ومن أجل "التسلية" أو المتعة كما ورد الإشارة إليها في عنوان الكتاب المتضمن سلسلة خرائط الإدريسي.[١١٢]

هذا الدور الوظيفي لهم يلفت الانتباه إلى إنجازاتهم التي لا يجب المبالغة في تقديرها. فمن خلال التصور الخرائطي والوصف الأدبي، أصبحت المساحات المكانية، بما فيها ذلك الكتل البحرية، متاحة للجميع وبمغزي مزدوج. أولاً، وعلي سبيل المثال، ذلك الانتقال في مركز القوي أو القوة من حيز إلى أخر وتوطيد العلاقات فيهما، تلاهُ إبراز لمفهوم الوعي المكاني، مما خلق منطقة متنوعة ممتزجة العلاقات والاتصالات. لا يتعلق الأمر في المقام الأول بالمكان التي تم تصويره بشكل واقعي أو الدقة في قياسه، على الرغم مما أبداه بعض الحكام، مثل الخليفة المأمون أو الملك روجر الثاني، من اهتمامٍ كبير بالدقة في قياس المساحة، بل يتعلق الأمر كذلك بالمساحة الأدبية والتصوير المجازي المرئي للعالم بأسره. عالم يمكن تخيله مترابط المسارات والطرق والأنهار والبحار، ولاسيما داخل دار الإسلام. ثانيًا، يصبح المكان مركزاً للتواصل من خلال التصوير المرئي والكتابي للنص، سواء كان ذلك بين المسافرين على كرسي بذراعين أو بين العلماء في تصوراته معبر مسافات كبيرة وفترات زمنية بعيدة، أو أن يكون ذلك تطبيقاً عملياً لوجهة التجار والحجاج والقادة العسكريين والمحاربين، والبحارة، وأمراء البحار أو الدعاة التبشيريين. فهناك الكثير من معلومات المهمة

لجميع المجالات. وفقًا لابن حوقل، كما ذكرنا سابقًا، هناك جمهور واسع النطاق وفئات مختلفة من الجماهير: الطبقة الحاكمة وأصحاب الدرجات الوظيفية والقيادية من جميع الطبقات والأماكن الذين –على سبيل المثال في القاهرة– يمكنهم زيارة مكتبة ما متاحة للجميع، والاطلاع علي كتبها التي لا تنضب.[١١٣]

٥– منظور أواخر العصور الوسطى على البحر الأبيض المتوسط في مقدمة ابن خلدون

أخيراً، ينتهي العمل بقفزة زمنية إلى أواخر القرن الرابع عشر. حيث يقدم المؤرخ العربي الكبير ابن خلدو ن[١١٤] في مقدمت ه[١١٥] مشهدًا بانوراميًا شاملًا لصعود وسقوط الحضارات.[١١٦]يتناول ابن خلدون في قسمين من كتابه تفاصيل بانورامية حول بحار العالم والبحر الأبيض المتوسط. والآن وأخيرًا؛ أعطي الكلمة لابن خلدون للرجوع إليه تاريخياً، ولكن بشرط الدخول في حوار نقدي معه. يصف ابن خلدون بشكل شامل في الفصل الثاني من كتاب الأول في المقدمة– من خلال نظرة علوية– الأماكن والمناطق الساحلية والمدن والجزر في المحيط الهندي (بحر المحيط) والبحر الأبيض المتوسط وبحر قزوين. كذلك يتناول الاتصال بين بحر قزوين والبحر الأبيض المتوسط عبر خليج القسطنطينية، مروراً بالبحر الأسود والبحر الأدرياتيكي، ثم ربط المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي "الفارسي".[١١٧] وبعد تفسير جغرافي مفصل، أخذ ابن خلدون خارطة العالم من كتاب "روجر"[١١٨] ليشرحها بالتفصيل[١١٩]. حقيقة الأمر (*Dictum factum*): أرفق ابن خلدون مع مقدمة نسخة طبق الأصل مما يسمى بخريطة الإدريسي.[١٢٠]تتبع ابن خلدون الأقاليم المناخية السبع التي حددها الإدريسي على خريطته، مع التعمق في عرض التفاصيل حول البلدان، والجبال والبحار والأنهار. قدم ابن خلدون تصوراً عالمياً متطوراً من خلال الجمع بين النص والصورة. فلقد جمع ابن خلدون بين خبرة العرب ومعرفتها في وقته، وبين اعتماده على بعض الاستشهادات من "بطليموس "[١٢١] وإسحاق ابن الحسن الهزذ ي[١٢٢] والمسعودي،[١٢٣]وأخرين.

في التمثيل العالمي الشامل للبحار، جاء البحر الأسود[١٢٤] كبحر رابع مع البحر الأبيض المتوسط، وبحر قزوين، والمحيط الهندي (الذي يتضمن الخليج الفارسي والبحر الأحمر). ويقدم ابن خلدون العالم في صورة خريطة عالمية وليست إقليمية. لا يبحث عن روابط

بحرية في المقدمة ولا عن إمكانية تشكيل شبكة تجارية من خلال رحلة بحرية كما في حالة المسعودي، ولم يضع أي علامات لمرافئ السفن، كما هو الحال مع ابن حوقل وكتاب الفضول، ولا علاقات حدودية بين السيطرة البحرية السياسية والدينية كما في أماكن أخرى لديه. إن تقسيم العالم إلى أقاليم مناخية، والذي يعود إلى التقاليد القديمة،[١٢٥] الموروثة والمقتبسة من خارطة الإدريسي، لا يُصنف الأرض والبحار طبقًا للناحية السياسية أو الدينية أو الاقتصادية. فنجد، أن في الأقليم المناخي الأول-] حيث قسم الإدريسي كتابه لأقاليم سبع]- البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي تقريبًا. وأحتوى الأقليم الثاني علي البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر. أما الأقليم الرابع فورد البحر الأبيض المتوسط مع بحر قزوين، وهكذا. وجاء بعد تمثيل البحار بالكلمات والصور في تشكيل بنية العالم بأسره، تخصيص قسم ملحق للبحر الأبيض المتوسط فقط، دون إرفاق خريطة، دون أن يوجد قسم مماثل للبحار الأخرى. وجاء صف البحار الأخرى كجزء من التاريخ الأساسي لابن خلدون، وأكثر تحديدا في تاريخ الأدميرالية(إمارة البحار).[١٢٦]

في هذا السياق، أنشأ ابن خلدون عرضًا بانوراميًا تاريخيًا للحكم العربي البحري من مرحلة صدر الإسلام حتى عصره. هنا، تكتسب المعالم منظورًا عربيًا، على وجه التحديد البحر الأبيض المتوسط، إنه حقًا يمثل تمكين عربي ذاتي في تاريخ البحر الأبيض المتوسط أو تاريخ الملاحة العربية والهيمنة البحرية على البحر الأبيض المتوسط. دعونا نلخصها بإيجاز: حسب ابن خلدون،[١٢٧] فإن بدايات الملاحة البحرية الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط"- بحر الروم" أو "بحر الشام"، البحر البيزنطي أو السوري-امتازت بالتحفظ وبالتشكك، في حين أمتلك الأخرون- أي القوط والبيزنطيين والفرنجة- المعرفة والخبرة في التجارة البحرية، وأيضًا في الحرب البحرية، وهو ما كان علي عكسه المسلمين في البداية. وطبقاً لابن خلدون، فإن هذا الخوف أو الجهل بالبحر من المسلمين في البداية، كان نتيجة منبع العرب ذو الأصل البدوي (الصحروي).[١٢٨]

ومن ثم، كان البحارة في أعلي البحار بمثابة "ديدان على قطعة من الخشب"،[١٢٩] كما جاء في وصف الفاتح المسلم الأول لشمال أفريقيا عمرو ابن العاص. بل أن ثاني الخلفاء الراشدين "عمر ابن الخطاب" نهى المسلمين عن الإبحار. ولم يحدث تغييرًا في هذا المسار

إلا في عهد الأمويين، وبالتحديد خلال ولاية معاوية ابن أبي سفيان، وهو الخليفة الاموي الأول في سلسلة الأسرة الأموية الحاكمة في بلاد الشام وعاصمتهم دمشق. لم يسمح معاوية بالملاحة البحرية فحسب، بل أجبر المسلمين أيضًا على الجهاد في البحر. ووفقاً لابن خلدون، سرعان ما اكتسب العرب المعرفة البحرية، بل وقاموا بتعيين خبراء أجانب متخصصين في بناء السفن والملاحة البحرية، وبهذه الطريقة أصبحوا هم أنفسهم خبراء. وأخيرًا، نجحوا في غزو صقلية كبداية لمرحلة جديدة (من عصر الملاحة الإسلامية–العربية).

ومن ثم، فقد مرت القوة البحرية العربية بخبرات ومراحل رائعة في البحر الأبيض المتوسط في زمن الأمويين والفاطميين والأمويين في أيبيريا (الأندلس). فتحت حكمهم، سيطر العرب على البحر الأبيض المتوسط بأكمله "و لم يستطع أحد فعل أي شيء حيال ذلك، ومن ثم استسلمت جميع الجزر، أي مايوركا، مينوركا ،بانتيليريا ،مالطا ،كريت وقبرص،[١٣٠]كلا حسب وقت مهاجمته.[١٣١]ومن وجهة نظر ابن خلدون، لم يعد بإمكان القارب المسيحي البقاء في البحر الأبيض المتوسط. فقط عندما ضعفت هذه الدول وتضاءلت القوة العربية البحرية أيضًا؛ نجح المسيحيون في استعادة السيطرة على تلك الجزر مرة اخري، ثم احتلال بلاد الشام بما في ذلك القدس والمواقع المركزية على الساحل المغربي. ووصولا للقرن الحادي عشر، لم يكن هناك أي عربي تقريبًا في البحر الأبيض المتوسط، وكان المسيحيون يسيطرون عليه، تغير هذا مرة أخرى في ظل دولة الموحدين (المهدية) في القرن الثاني عشر. خلال هذه الفترة، حسب رأي ابن خلدون، نمى الحكم البحري العربي إلى مستوى لم يعرف من قبل أو من بعد.[١٣٢] عقب حكم الموحدين، واصلت الدولة المرينية نجاح الحكم العربي المتوسطي للمرة الأخيرة. وبعد ذلك، رثى ابن خلدون قائلًا، بدأ التدهور حتمًا، ونُسيت المعرفة البحرية،[١٣٣] وهيمنت أساليب الحياة البدوية، وفي النهاية فقد المسلمون جميع المتطلبات البحرية.[١٣٤]

تم وضع ملاحظات ابن خلدون عن البحار بعناية في نهاية المصادر الجغرافية والتاريخية. فمن الناحية المعرفية لعالم عربي في أواخر العصور الوسطى كان لديه معرفة بالأعمال القديمة متضمناً أيضًا المعرفة العربية، مثل الإدريسي أو المسعودي. قبل كل

شيء، فهذه المصادر تجمع بين تمثيلات وتصورات مختلفة تجمع بين "التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط في علم التأريخ وعلم رسم الخرائط (الكاتوغرافيا)".فمن ناحية تؤرخ لتاريخ العرب بصفتهم فاعلين أساسي ينفي البحر (هيمنة البحر، التجارة، الحرب)، ومن ناحية أخرى تناول تاريخ التصور العربي للفضاء البحري من خلال التوضيح الخرائطي والنصي الوصفي ذات التداخلات المتشابكة بينهم.

تعتبر خريطة ابن خلدون وخريطة وصف العالم مثالاً حياً لوصف العالم من منظور عربي عالمي، فإن تاريخ البحر الأبيض المتوسط ينبثق من رؤية عربية تمركزت حول البحر الأبيض المتوسط. يمكن هنا رواية التاريخ من منذ الاقتراب العربي تجاه البحر وحتى سيادته والهيمنة عليه، انتهاءً بفقدان تلك السيادة مرة أخري. هناك علاقة تشابكية بين البحر وتاريخ السلالات التاريخية الإسلامية الكبرى، أي الأمويين في سوريا وشبه الجزيرة الأيبيرية وكذلك الفاطميين والموحدين المهديين والمرينيين في شمال إفريقيا. من ناحية أخرى، فإن الدولة العباسية في بغداد قد سقطت من رواية ابن خلدون دون إبراز للمحيط الهندي في تاريخ العرب البحري.

وهكذا يمزج المؤرخ تاريخ العرب في البحر الأبيض المتوسط مع تاريخ الأسرات الحاكمة إجمالًا في جزء ملحق في كتابه " المقدمة" ودمجه في مفهومه العام لقصص صعود وسقوط الحضارات.[١٣٥] لم يكن بإمكان ابن خلدون أن يكتب فصلًا مشابهًا عن المحيط الهندي أو بحر قزوين، لأن دخول العرب إلي عالم البحار حدث في ظل ظروف مختلفة تمامًا. لم يتشكل ذلك بسبب الحرب والتنافس الديني والسلطة فحسب، ولكن وقبل كل شيء، جاء ذلك نتيجة النشاط التجاري كذلك. على عكس البحر الأبيض المتوسط، كان المحيط الهندي" بحر السلام."[١٣٦]ويأخذ ابن خلدون التجارة أيضًا في الحسبان، ولكن الأمر في جوهره يتعلق بالهيمنة السياسية والدينية من خلال وجود أسطول بحري يتحكم في مركز القوي. ويُعزى صعود وسقوط القوى البحرية الإسلامية والمسيحية في البحر الأبيض المتوسط إلى حركات مضطربة وغير مستقرة.[١٣٧] كما أن علاقات القوة بين مختلف الحكام الدينيين والسياسيين تميزت بالتغيير المستمر مراراً وتكراراً، حتى في أشد الفترات تعصباً مثل الحروب الصليبية

والجهاد الإسلامي (المضاد).ومع ذلك، فإن احتمالات تجاوزها تظل واضحة، على سبيل المثال من خلال عملية النقل أو التحول المعرفي.

وعلي الرغم من ذلك وفي الوقت الحاضر، يجب عدم الإنسياق لروايات ابن خلدون ونظرياته حول صعود وهبوط بعض الأسر الحاكمة المنفردة في البحر أو لاستبطانه لأسباب تدهورها. فمن وجهة النظر الحالية، فإن المواجهات المسيحية الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط تقع في منطقة متوترة عالقة بين الصراع والتواصل بشكل معقد للغاية. كما أن تاريخ الحكم البحري أواخر العصور الوسطي الإسلامية- لكن ليست العربية- والتجارة البحرية، على سبيل المثال بين المماليك والأتراك (١٢٦٠-١٥١٧)، كانت متباينة للغاية أيضاً.[١٣٨]فقد ظلت القاهرة المملوكية مركزًا مهمًا للبضائع الأسيوية إلى بيزنطة وأوروبا الغربية.[١٣٩]ومع ظهور فاعلين تجاريين أخري ينفي مجال التجارة البحرية في شمال البحر الأبيض المتوسط و هما المدن الساحلية الإيطالية والأراجونية، أقام المسلمون اتصالات معهم. [١٤٠]وبدأت تتطور العلاقات التجارية علي الأقل في شكل شبكة مثلثية قطرية بين الغرب و الشرق و الشمال.[١٤١]

بعد سنوات قليلة من وفاة ابن خلدون، بدأ عصر الأستعمار الأوروبي للعالم. و من ثم أدى ذلك إلى حدوث تغييرات جذرية في علاقة المسلمين بالبحار، خاصة المماليك و العثمانيين. فبمجيء العثمانين سيطرت دولتهم على منطقة البحر الأسود، مع استمرارية نشاطها في البحر الأبيض المتوسط، وخاصة في بحر إيجه وفي مجالها التجاري مع أسيا.[١٤٢]من ناحية أخري، تقدم البرتغاليون إلى منطقة المحيط الهندي، على الرغم من أنهم لم يقطعوا التجارة البحرية العربية هناك، إلا أنهم حولوا مسارها (عبر طريق رأس الرجاء الصالح). ومع الوصول إلي المحيط الأطلسي، قبل نهاية عام ١٤٩٢،[١٤٣] انفتح عالم غير معروف حتى الأن ، وكذا منطقة بحرية جديدة، وعلي المدي الطويل أصبح من النادر إبحار أي سفن عربية أو إسلامية فيها.

ملخص: التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط

يقيم هذا البحث العلاقة العربية بالبحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى. والحجة الرئيسية هنا أنه نتيجة إلي التجارب المبكرة لتجار العرب في المحيط الهندي منذ ما قبل

ظهور الأسلام وحتي التوسع العربي الإسلامي العالمي، فلا يمكن تحليل هذه العلاقة بدون نظرة ثاقبة أوسع على النهج العربي العام تجاه البحر، بمعني اخر المحيط الهندي و بحر قزوين. إن ألقاء نظرة سريعة على النصوص الدينية مثل القرأن و الحديث يوضح أبعاد نقدية هامةللعلاقة بين العرب والبحر. فمن خلال تحليل المصادر التاريخية–الجغرافية وتحليل الخرائط (الرسوم الكاتوغرافية)خلال العصور الوسطى؛ مثل مروج الذهب و معادن الجوهر لعلي ابن حسن المسعودي (٨٩٦– ٩٥٦) وكتاب صورة الأرض لابن حوقل (٩٧٧) وكتاب المؤلف المجهول كتاب "غرائب الفنون و ملاح العيون" (١٠٢٠–١٠٥٠) و مقدمة ابن خلدون(١٤٠٦) ، سنجد أن هناك فروق طفيفة فيما يتعلق ببعض التفاصيل. ويمكن اجمال الأسئلة الرئيسية للبحث كما يلي: ١) كيف تصور هذه النصوص و الخرائط المختلفة التي كتبها و رسمها مؤلفون من العصور الوسطى في شمال أفريقيا والعراق العلاقة العربية تجاه البحر، وخاصة تجاه البحر الأبيض المتوسط ؟ ٢) كيف قدمت المصادر الجغرافية التاريخية والخرائطية العربية في العصور الوسطى هذه البحار بشكل منفصل وكذلك من خلال علاقتها وربطها ببعضها البعض؟٣) ما الدور المحدد الذي لعبه البحر الأبيض المتوسط في التأريخ العربي و علم رسم الخرائط (الكاتوغرافيا) في العصور الوسطى؟

الملاحق:

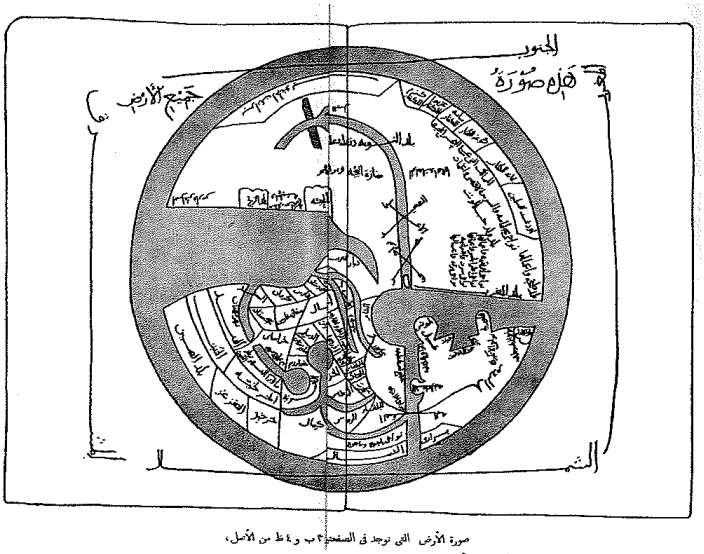

صورة الأرض التي توجد في الصفحتين ٣ ب و ٤ ا من الأصل.

شكل ١: خريطة العالم لابن حوقل في:

Ibn Ḥauqal, KitābṢūrat al-arḍ , hg. von Johannes Hendrik KRAMERS (BibliothecaGeographorumArabicorum), Leiden 1938, S.8).

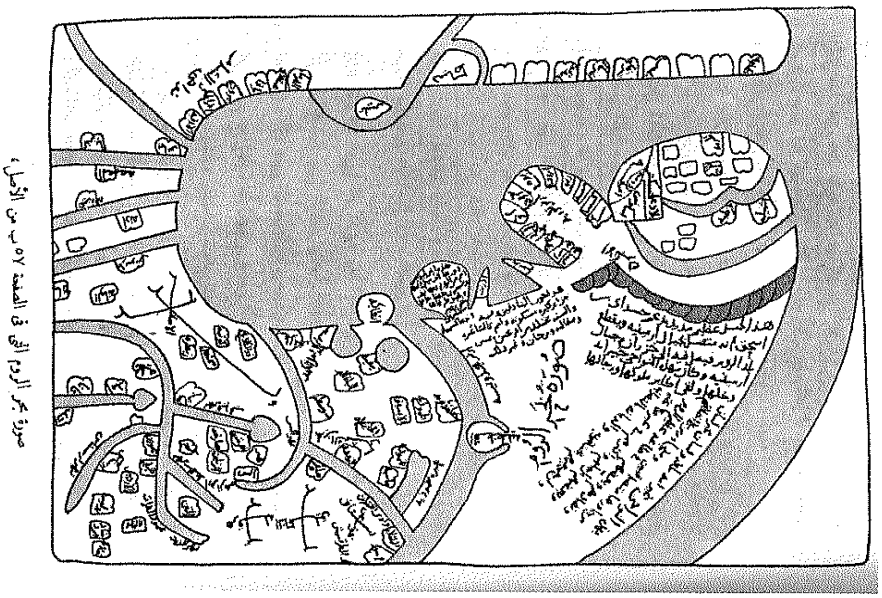

شكل ٢: خريطة المغرب لابن حوقل:

Ibn Ḥauqal, KitābṢūrat al-arḍ , hg. von Johannes Hendrik KRAMERS (.(BibliothecaGeographorumArabicorum), Leiden 1938, S.66

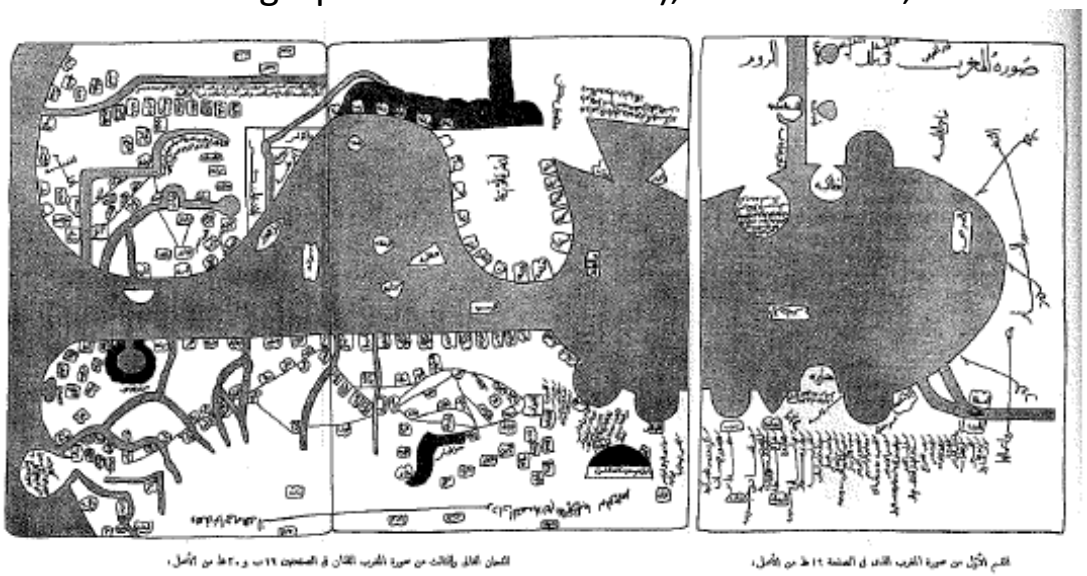

شكل ٣: خريطة ابن حوقل للبحر الأبيض المتوسط:

Ibn ḤauqalMittelmeerkarte (abgedruckt in: Ibn Ḥauqal, KitābṢūrat al-arḍ , hg. von Johannes Hendrik KRAMERS (.(BibliothecaGeographorumArabicorum), Leiden 1938, S. 196

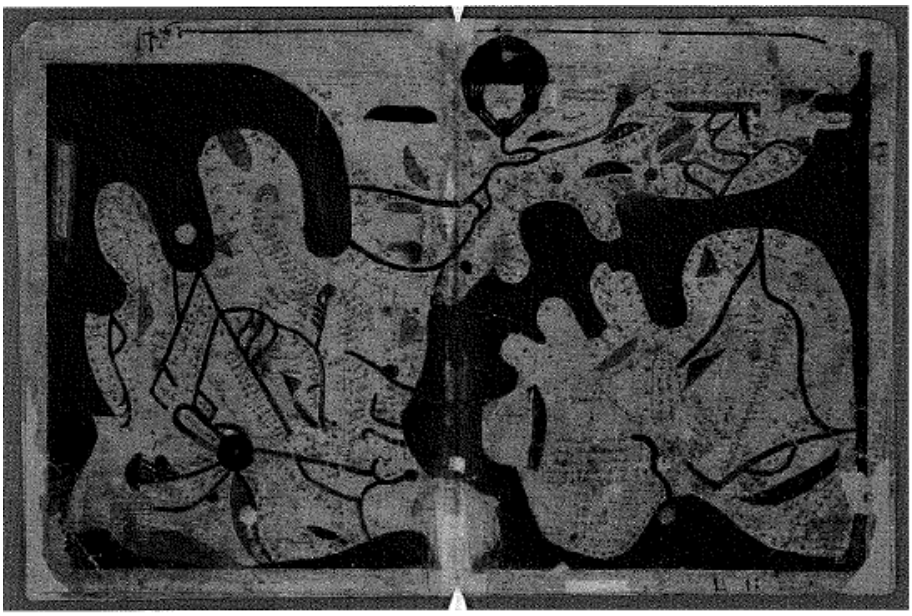

شكل ٤: خريطة العالم المربعة

EckigeWeltkarte, Buch der Kuriositäten (MS Arab.c.90 fols. 23b-24a

شكل ٥: خريطة العالم الدائرية

RundeWeltkarte, Buch der Kuriositäten (MS Arab: c.90, fols 27b-(28a

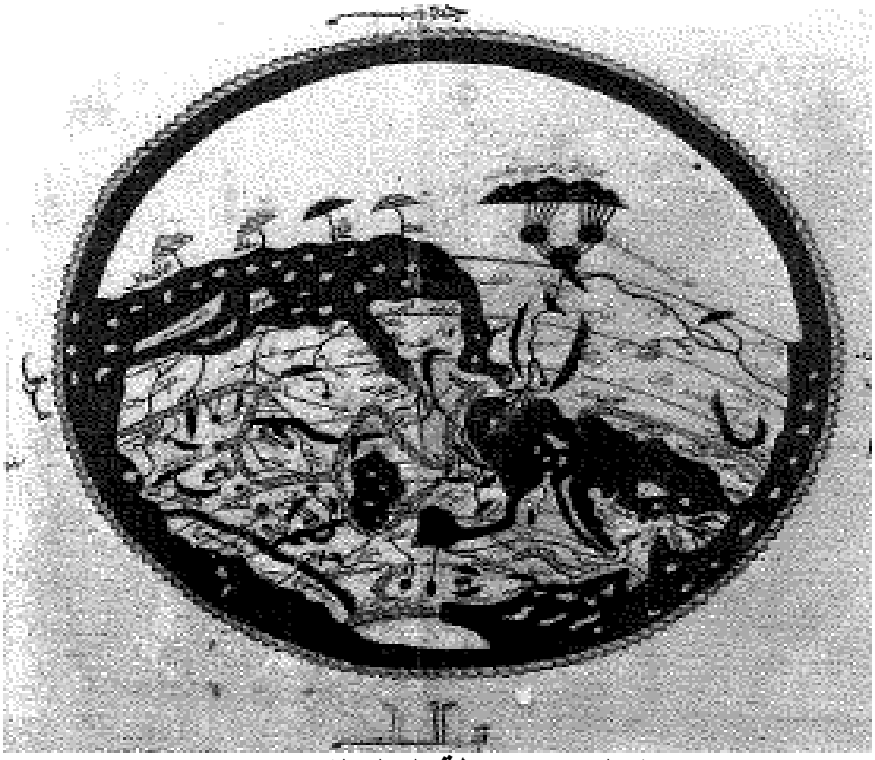

شكل ٦: خريطة العالم للإدريسي

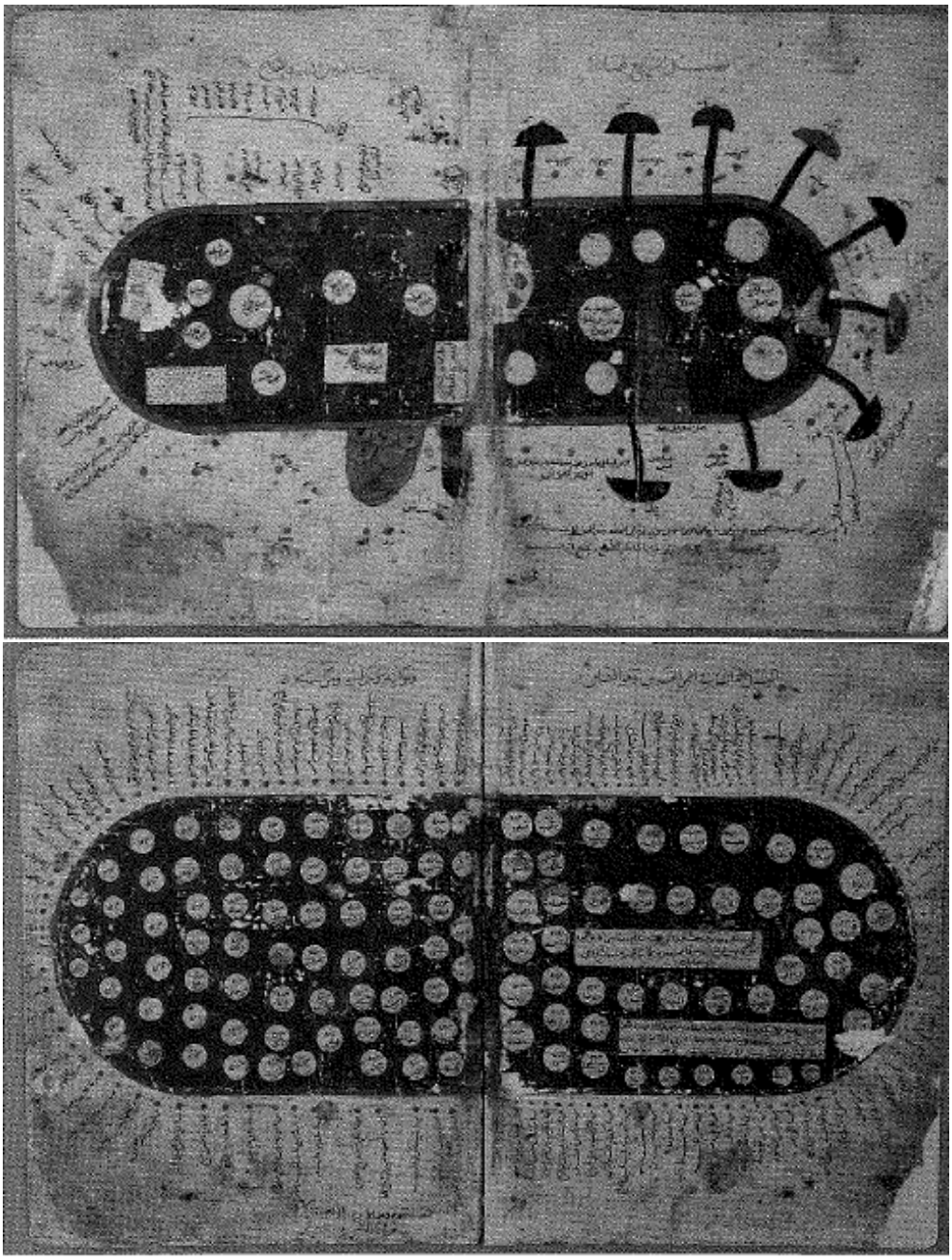

شكل ٧ و٨: خريطة البحر الأبيض المتوسط وخريطة المحيط الهندي

AMS Arab. c. 90, fols 31b-32a) undKarte des IndischenOzeans (MS Arab. c. 90, fols- 29b-30a)

الهوامش:

* نُشرت هذه المقالة باللغة الألمانية للمرة الأولي تحت عنوان:
Dieser Artikelwurdeerstpubliziertunter dem Titel: ArabischeDarstellungen des Mittelmeers in Historiographie undKartographie“, in: Borgolte, Michael; Jaspert, Nikolas (Hg.): MaritimesMittelalter. MeerealsKommunikationsräume, Ostfildern: 2016, S. 149-180.Ich danke den Herausgebern Prof. Dr. Michael Borgolte und Prof. Dr. Nikolas Jaspert sowie dem Thorbecke Verlag für die freundliche Genehmigung der Zweitpublikation in arabischer Sprache. Der Artikel wurde von Dr. Ahmed Sheir übersetzt; auch ihm gilt mein Dank.

وأشكر المحرران أد. ميشائيل بورغولتي والبروفيسور د. نيكولاس ياسبيرت ودار نشر توربيك فيرلاغ(Thorbecke Verlag) لموافقتهم الكريمة على نشر المقال باللغة العربية. والشكر موصول للدكتور أحمد شعير (Ahmed Sheir) لترجمة هذا المقال إلي العربية.

[1] القرآن، سورة البقرة، أية ١٤٢ و١٤٣.

[2] Jürgen OSTERHAMMEL, Die Verwandlung der Welt. Eine Geschichte des 19. Jahrhunderts, München 2010, S. 131.

[3] سرعة الاقتراب العربي السريع نحو البحر وركوبه، يتناقض مع تحفظات الخلفاء الراشدين الأوائل على ركوب البحر والتي وصلت في بعض الأحيان إلى حد حظر الإبحار، كما حذرت بعض السور القرآنية من البحر، على سبيل المثال السورة العاشرة "سورة يونس" والثانية و العشرون سورة "الحج" أو السورة الرابعة و العشرون سورة " النور" و الاربعون سورة "غافر". وبحسب رواية ابن خلدون، فقد حظر عمر بن الخطاب (ثان الخلفاء الراشدين) المسلمين من الإبحار. أنظر: مقدمة ابن خلدون.
Ibn Ḫaldūn, Muqaddima. Prolégomènesd’EbnKhaldoun. Textearabe, publié, d’après les manuscrits de la bibliothèqueimperiale, hg. von M. QUATREMÈRE, Paris 1858.
وللمزيد أنظر: Albrecht FUESS, VerbranntesUfer. Auswirkungen mamlukischer Seepolitik auf Beirut und die syro-palästinensische Küste 1250-1517 (IslamicHistory and Civilization 39), Leiden u.a. 2001; Wilhelm HOENERBACH, Araber und Mittelmeer. Anfänge und Probleme arabischer Seegeschichte (Veröffentlichungen der Schleswig-Holsteinischen Universitätsgesellschaft zu Kiel 48), Kiel 1967.

حول أقوال ابن خلدون عن البحر – القسم الخامس، مقالة ابن خلدون في كتابه "مقدمة" منظور العصور الوسطى المتأخرة عن منطقة البحر المتوسط، استخدمت الأمثلة التي تحذر من البحر في فترة صدر الإسلام، مع الإشارة إلى بعض الآيات القرآنية في البحث كدليل على صحة النظرية القائلة بأن الإسلام والبحر يتعارضان. أنظر:
Xavier DE PLANHOL, L’Islam et la mer. La mosquée et le matelot. VIIe – XX- siecle, Paris 2000.

[4] Christophe PICARD, Le calife Umar interdit la Méditerranée aux Arabes : peur de la mer ou raison d'État?, in: Un Moyen Âge pour aujourd'hui: pouvoir

d'État, opinion publique, justice: mélanges offert à Claude Gauvard, hg. von Olivier MATTEONIund Nicolas OFFENSTADT, Paris 2010, S. 247-257.

5Maria Kowalska, Die SeekämpfezwischenArabernundByzantinernimOstmittelmeer in den Jahren 649-717, in: Foliaorientalia 37 (2001), S. 105-112

[6]Alexander Daniel BEIHAMMER, The First Naval Campaigns of the Arabs against Cyprus (649-653), in: Graeci-Arabica 9/10 (2004), S. 47-68.

٧- لمزيد من المعلومات التاريخية عن أحداث التقارب العربي الإسلامي إلى (من السيطرة علي) البحر الأبيض المتوسط و النزاع حول دور القيادة السياسية و العسكرية في هذا الحيز المكاني أنظر:

Ekkehard EICKHOFF, Seekrieg und Seepolitik zwischen Islam und Abendland. Das Mittelmeer unter byzantinischer und arabischer Hegemonie (650-1040), Berlin 1966; Tadeusz LEWICKI, Lesvoies maritimes de la Méditerranée dans le haut Moyen Age d'apréslessourcesarabes, in: La navigazionemediterraneanell'altomedioevo. 14. - 20. April 1977, Bd. 1, hg. von Centro Italiano di Studisull'AltoMedioevo (Settimane di Studio del Centro Italiano di Studisull'AltoMedioevo 25), Spoleto 1978, S. 439-480. Vgl. zu einer kritischen Zusammenfassung dieser Arbeiten FuatSEZGIN, Geschichte des Arabischen Schrifttums, Bd. 11. Mathematische Geographie und Kartographie im Islam und ihr Fortleben im Abendland, Historische Darstellung, 2. Teil, Frankfurt am Main 2000, bes. S. 3-26.

[8]George HOURANI, Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times (Princeton Oriental Studies 13), Princeton 1951, S. 61

[9]Vgl. Monica JUNEJA/Dietmar ROTHERMUND, Zwischen allen Meeren. Südasien, in: Die Welt 1250-1500, hg. von Thomas ERTL und Michael LIMBERGER (Globalgeschichte. Die Welt 1000-2000, Bd. 2), Wien 2009, S. 272-296, bes. S. 278. Vgl. auch HOURANI, ArabSeafaring (wie Anm.8), S. 63.

[١٠]يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن تاريخ العرب والبحر الأبيض المتوسط من **وجهة نظر كاتبي القرون الوسطى "الغربيين"** يحمل في طياته خطر المساس ببُعد الاتصال مع "الغرب" أو مسار التعامل مع الثقافة الغربية- الثقافة اللاتينية المسيحية أو الثقافة اليونانية المسيحية. ليس ذلك فقط من أجل التاريخ البحري للعرب بشكل عام، **ولكن أيضًا بشكل خاص للتاريخ العربي المتوسطي**، فمن الضروري أن الانتقال من شبه الجزيرة العربية نحو البحر الأبيض المتوسط و `` أوروبا " ليس سوي أحد الدوافع للتوسع العربي.

[١١]Osterhammel, Verwandlung der Welt (wie Anm.2) ،S. 131.

[١٢] المقصود هنا العدد الذي نشر فيه المقال في أصله بالألمانية: أنظر بداية المقال.

[13]BORGOLTE/JASPERT, Maritimes Mittelalter, nach Anm. 26.

[١٤] تفتح هذا السؤال مجموعة من التساؤلات الأساسية المتعلقة بالعلاقة بين المكان والزمان والتاريخ، والمنشآت التاريخية ووجهات النظر العالمية في ذلك.

[15]DE PLANHOL, L'Islam (wie Anm.3).

[١٦] يشير DE PLANHOL في المقام الأول إلى الإسلام، ويزعم وجود علاقة إشكالية بين جميع الديانات التوحيدية السماوية: أنظر: المرجع السابق، ص ٤٥٧ وكذلك: Stefan WILD, in: HZ 272 (2001), S. 141-143.

[17]Vgl. Anne-Marie BIANQUIS, in: JESHO 45,2 (2002), S. 294-296; James HOWARD-JOHNSTON, in: EHR 470 (2002), S.118-120; Jean-Robert PITTE, in: Annales de Géographie 111 (2002), S. 219-220; vgl. zudem WILD (wie Anm.15).

[١٨]في هذه المرحلة، نريد فقط الإشارة إلى التمييز الضروري بين العرب والمسلمين. انتقد توماس باور الباحث "يونجست" بتركيزه على استخدام مصطلح الثقافة الإسلامية، لأنه يشير إلى دين ذو مجموعة ثابتة من المعايير الدينية بالإضافة إلى ثقافة ليست متطابقة بأي حال من الأحوال. انظر:

Thomas BAUER, Die Kultur der Ambiguität. Eine andere Geschichte des Islams, Berlin 2011, S.193; Almut HÖFERT, Europa und der Nahe Osten. Der transkulturelle Vergleich in der Vormoderner und die Meistererzählungen über den Islam, in: Historische Zeitschrift 287 (2008), S. 561-597; Wolfram DREWS, The Emergenceof an Islamic Culture in Early Abbasid Iraq, in: Cultural Brokers at Mediterranean Courts in the Middle Ages, hg. von Marc VON DER HÖH, Nikolas JASPERT, Jenny Rahel OESTERLE, Paderborn 2013, S. 47-62, der, was das abbasidische Kalifat betrifft, von „an imperial cultureexpressed in Arabicundertheprotectionof Islam“ (S. 61).

[١٩] يوجد عدد من الدراسات ذات الصلة في مجالات التجارة وتكنولوجيا السفن والحروب البحرية والقانون البحري في الإسلام أنظر:

, vgl. etwa Dionisius A. AGIUS, Classic Ships of Islam. From Mesopotamia to the Indian Ocean (Handbook of Oriental Studies. Section 1, The Near and Middle East 92), Leiden 2008; Matthew Benjamin HARPSTER, Shipbuilding and Trade in the Eastern Mediterranean during the 7th Century: Possible Effects of the Muslim Invasion, St. Andrews 1997; Hassan Salih KHALILIEH, Capacity and Regulations against Overloading of Commercial Ships in Byzantine and Islamic Maritime Practices, in: Journal of Medieval History 31 (2005), S. 243-263; *Ders.*, Human Jettison, Contribution for Lives and Life Salvage in Byzantine and Early Islamic Maritime Laws in the Mediterranean, in: Byzantion 75 (2005), S. 225-235; *Ders.*, Security Protection and Naval Escort during the 10th and 12th Centuries in the Islamic Mediterranean, in: Graeco-Arabica 7/8 (2000), S. 221-232; Gottfried LIEDL, SeefahrtimislamischenWesten. Spätmittelalter und FrüheNeuzeit, in: Seefahrt und früheeuropäische Expansion, hg. von René Alexander MARBOE (Expansion, Interaktion, Akkulturation 15), Wien 2009, S. 61-92; ZakiM'BAREK, Le Jihad maritime enMéditerranée du XIIe au XVIe siècle: conception islamique et conception occidentale, in: Aspetti ed attualità del poteremarittimo in mediterraneoneisecoli XII-XVI, hg. von Paolo ALBERINI, Rom 1999, S. 85-100; Medieval Ships and Warfare, hg. von Susan ROSE,

Aldershot 2008; Abraham L. UDOVITCH, An Eleventh Century Islamic Treatise on the Law of the Sea, in: Annales islamologiques 27 (1993), S. 37-54; Alan G. WALMSLEY, Production, Exchange and Regional Trade in the Islamic East Mediterranean: Old Structures, New Systems, in: The Long Eighth Century. Production, Distribution and Demand, hg. von Inge Lyse HANSEN und Chris WICKHAM (The Transformation of the Roman World 11), Leiden 2000, S. 265-343.

[20]ʿAlī Ibn Ḥasan al-Masʿūdī,LesPrairies d'or, Arabische Edition u. Französische Übersetzung des „Murūğaḏ- Ḏahabwa-maʿādin al-ğawhar", hg. von Barbier DE MEYNARDund PavetDE COURTEILLE, Paris 1861-77.

[21] Ibn Ḥauqal, KitābṢūrat al-arḍ ،hg. von Johannes Hendrik KRAMERS (Bibliotheca Geographorum

Arabicorum), 2Bde., Leiden 1938. Sofern nicht anders vermerkt, beziehen sich die Seitenzahlen in diesem

Aufsatz auf den ersten Band der Edition.

[22]The Book of Curiosities: A Critical Edition, hg. von Emilie SAVAGE-SMITH und YossefRAPOPORT, World-Wide-Web publication. (www.bodley.ox.ac.uk/bookofcuriosities).

[23]Muqaddima. Prolégomènes d'Ebn Khaldoun. Texte arabe, publié, d'après les manuscrits de la bibliothèque imperiale, hg. von M. QUATREMERE, Paris 1858. Die Verweise in diesem Aufsatz beziehen sich auf die arabische Edition. Das Werk wurde ins Englische übertragen: Ibn Khaldūn, The Muqaddimah. An Introduction to History, hg. u. übers. von Franz ROSENTHAL, 3 Bde., New York 1958.

[٢٤]ومع ذلك، فإن اختيار المصادر ليس ممُثلاً، كان ينبغي على مؤرخ لديه خبرة وتجارب مثل المسعودي أن يأخذ، على سبيل المثال، عن المؤرخين ذوي التوجهات الدينية مثل الطبري لمعرفة كيفية وصفهم للبحار والتعامل مع المعلومات المشككة عن البحر من المنظور القرآني وتتبعهامنذ عصور الإسلام الأولي. ووفقاً لهدف البحث ذات التوجيه الموضوعي فإن المصدران الموجهان بقوة نحو منطقة البحر الأبيضالمتوسط هما كتابا الفضول المصري لمؤلف مجهول وكتاب ابن خلدون. إلا أن المسعودي وابن حوقل ذو الأصول العراقية،على الرغم من أن الأخير قد يكون له اهتمام خاص بالبحر الأبيض المتوسط لأسباب تقاربهم مع جماعة الإسماعيلية والفاطميين.ولم يذكررسام الخرائط البلخيون (بلخ) من العراق – بمن فيهم ابن حوقل-إلا بشكل عابر. ومن الجدير بالذكر، أن مدرسة بلخي ليست لها علاقة بما يسمى بجغرافي أو خبراء مدرسة الخليفة المأمون الجغرفية ذو التوجه الرياضي. عن رسم الخرائط الإسلامي ذو التوجه الرياضي/الحسابي أنظر: SEZGIN, Geschichte des ArabischenSchrifttums (wie Anm.7). Eine

يمكن العثور على مجموعة من المؤرخين العالميين والفارسيين والعرب وأعمالهم وملخصات موجزة لمحتوياتهم في:

Bernd RADTKE, Weltgeschichte und Weltbeschreibung im mittelalterlichen Islam (Beiruter Texte und

.Studien 51), Stuttgart 1992

[25] Ahmad M. H. SHBOUL, Al-Masʿūdī and his World. A Muslim Humanist and his Interest in non-Muslims, London 1979; Tarif KHALIDI, Islamic Historiography. The Histories of al-Masʿūdī, New York 1975; RADTKE, Weltgeschichte (wie Anm.23).

[٢٥] Al-Masʿūdī, Murūğ (wie Anm.19)

[27] FRANZ ROSENTHAL, A HISTORY OF MUSLIM HISTORIOGRAPHY, LEIDEN ²1968, S. 28. ER GILT ALS EINER "DER UMFASSENST NEUGIERIGEN WELT-ERKUNDER, DIE DAS ISLAMISCHE MITTELALTER HERVORGEBRACHT HAT". VGL. LUTZ RICHTER-BERNBURG, DER FRÜHMITTELALTERLICHE HANDEL NORD- UND OSTEUROPAS NACH ISLAMISCHEN QUELLEN, UNTERSUCHUNGEN ZU HANDEL UND VERKEHR DER VOR- UND FRÜHGESCHICHTLICHEN ZEIT IN MITTEL- UND NORDEUROPA, TEIL IV, IN: DER HANDEL DER KAROLINGER- UND WIKINGERZEIT, HG. K. DÜWEL, Göttingen 1987 (Abhandlungen der Akademie der Wissenschaften in Göttingen, Phil.-hist. Klasse, Dritte Folge, Nr. 156), S. 667-685, bes.S.678

[٢٨] ومع ذلك، فإن الوصف التفصيلي للبحار الفردية يحتوي على فصول عن الأرض والبحار ومنابع الأنهار والجبال وأقاليم المناخ السبعة والنجوم والمجالات، أنظر:

.Masʿūdī, Kap. 8, S. 179-202) sowie über sich verändernde Meeresläufe und Flüsse (Masʿūdī, Kap. 9, S. 202-230) voran[٢٩]

[٢٩] انظر نفسه، الفصل العاشر، ص ٢٣٠.

[٣٠] في عمله الثاني " كتاب التنبيه والإشراف" يتناول المسعودي البحار. هنا أيضاً يشير إلى أسفاره الخاصة. في كتاب التنبيه، ذهب أولاً إلى المحيط الهندي، ثم إلى البحر الأبيض المتوسط، وبحر قزوين، وبعد ذلك بوقت قصير إلى البحر الأسود وأخيراً إلى المحيط الأطلنطي. في فصل البحر الأبيض المتوسط، يذكر قبل كل شيء الموقع الجغرافي للبحر وحجمه، والجزر المنفصلة مثل قبرص وكريت وصقلية بالإضافة إلى مجرى نهر النيل. انظر:

ʿAlī Ibn Ḥasanal-Masʿūdī,Kitāb at-Tanbīh wal-išraf, hg. von ʿAbdallāhIsmāʿīlas-Ṣāwī, Kairo 1983, Kap. 10, 11, 12 und 13. Vgl. RADTKE, Weltgeschichte (wie Anm.23), S. 60.

[31] Masʿūdī, Murūğ (wie Anm.19). Folgende Kapitel- und Seitenangaben beziehen sich auf dieses Werk.

[٣٢] نفسه، ص ٢٣١.

[٣٣] انظر ص، ٢٤٣، البحر الفارسي (بحر فارس)، البحر الأحمر (بحر القلزم)، البحر الحبشي، بحر اليمن وبحر الزنج على الساحل الأفريقي المقابل، وجزء أخر يسمي بحر السند، وبحر الهند، بحر الصين، بحر ملقاوبحر الكلا (Kalāh)، وكذلك وبحر الزباج بالقرب من سومطرة وجاوة.

[٣٤] أنظر، نفسه، ص ٢٣٠-٢٤٤.

[٣٥] أنظر، نفسه، الفصل ١١، ص ٢٤٤-٢٥٥

[٣٦] أنظر ، نفسه، الفصل ١٢، ص ٢٥٦-٢٦٠.

[٣٧] أنظر، نفسه، الفصل ١٤، ص ٢٦٢-٢٨٦.

[٣٨] أنظر، نفسه، الفصل ١٣، ص ٢٦٠-٢٦٢.

[٣٩] أنظر، نفسه، الفصل ١٤، ص ٢٧١ وما بعدها.

[٤٠] يمكن العثور على نفس التسلسل في أعماله التاريخية الأخرى مثل „ Kitāb at-Tanbīh wal-išraf“ (wie Anm. 27)"

[41] Zu al-Masʿūdīs Quellen siehe auch Tarif KHALIDI, IslamicHistoriography. The Historiesof al-Masʿūdī, New York 1975.

[٤٢] على سبيل المثال، فيما يتعلق بالبحار، بطليموس (Ptolemaios) راجع أيضاً: الفصل الثامن، ص ١٨٤:

al-Masʿūdī referiert Ptolemaios‘ Annahme von fünf Weltmeeren). In seinem Werk „Kitāb at-Tanbīh wal-išraf“ zieht al-Masʿūdī nach eigenen Angaben für die Meeresbeschreibungen Informationen aus den Werken des Ptolemaios, Kindī, Aḥmad Ibn aṭ-Ṭayyibas-Saraḫsī heran. Vgl. Masʿūdī,Kitāb at-Tanbīh(wie Anm.27), Kap. 10 sowie RADTKE, Weltgeschichte (wie Anm.23), S. 60.

[43] Vgl. zur Ma’mūn-Geographie SEZGIN, GESCHICHTE des arabischen Schrifttums (wie Anm.3).

[44] Masʿūdī, Murūğ (wie Anm.19), Kap. 10, S. 234.

[٤٥] خاصة عند حدوث خلاف حول العلاقة والصلات بين البحر الأسود وبحر قزوين، انظر، فصل ١٤، ص ٢٧٤.

[٤٦] أنظر: المصدر السابق، الفصل ١٤، ص ٢٨٢.

[٤٧] أنظر، نفسه، الفصل ١٤، ص ٢٨٢.

[٤٨] أنظر، نفسه، الفصل ١٤، ص ٢٨٢ ومابعدها.

[٤٩] أنظر، نفسه، الفصل ١٤، ص ٢٨٣.

[٥٠] تعتبر المناقشات والجدليات بخصوص بحر قزوين - إلي حد ما- هي الخلاف الأكثر تفاصيلًا. هنا يعتمد المسعودي علي مصارده الشفهية والمكتوبة، ومع ذلك يعترف أيضاً بمخاطر الأخطاء.

[٥١] غير ذلك. طرسوس ، أضنة ، ماسيسا ، أنطاكية ، اللاذقية ، طرابلس ، صيدا ، صور علي الجانب البيزنطي والشامي وكذلك في الإسكندرية وطنجة وسبتة على ساحل شمال إفريقيا.

[52] HOURANI, ArabSeafaring (wie Anm.8), S. 61.

حول تطور النظرة الإسلامية للمحيط الهندي انظر: Ulrike FREITAG, Islamische Netzwerke im Indischen Ozean, in: Der Indische Ozean. Das afro-asiatische Mittelmeer als Kultur- und Wirtschaftsraum, hg. von DietmarROTHERMUND und Susanne WEIGELIN-SCHWIEDRZIK(Edition Weltregionen 9), Wien 2004, S. 61-82.

[53] Vgl.al- Masʿūdī,Murūğ (wie Anm.19), Kap. 12, S. 257.

[٥٤] انظر المرع نفسه، الفصل ١٤: ومع ذلك، يذكر المسعودي في فصله الخاص بالبحر ، قبائل وشعوب وبلدان ، وأحيانًا أيضًا ابعض المسؤولين السياسيين مثل أمير في الهند.

[55] OSTERHAMMEL, Verwandlung der Welt (wie Anm.2), S. 157.

[56] HORDEN/Nicholas PURCELL, The Corrupting Sea. A Study ofMediterraneanHistory, Oxford 2000, S. 25 betont Osterhammel die „kleinteilige Fragmentierung“ des Mediterraneums; Römer,

[57] DEPLANHOL, L’Islam (wie Anm.3).

[٥٨] لا يمكن تحديد نقاط تاريخية معينة وثابتة إلا من خلال أسماء المدن والبلدان الواقعة في المناطق الساحلية وكذلك الحكام المعاصرين للمسعودي.

[٥٩] هذا المصطلح منقول عن:

Hagen KELLER, Ordnungsvorstellungen, Erfahrungshorizonte und Welterfassung im kulturellen Wandel des 12./13. Jahrhunderts, in: Ordnungskonfigurationen im hohen Mittelalter, hg. von Bernd SCHNEIDMÜLLER und Stefan WEINFURTER (Vorträge und Forschungen 64), Ostfildern 2006, S. 257-

[60] Ingrid BAUMGÄRTNER/Paul Gerhard KLUMBIES/Franziska SICK, Raumkonzepte. Zielsetzung, Forschungstendenzen und Ergebnisse, in: Raumkonzepte. Disziplinäre Zugänge, hg. von Ingrid BAUMGÄRTNER, Paul Gerhard KLUMBIES und Franziska SICK, Göttingen 2009, S. 9-25, bes. S. 11; Ingrid BAUMGÄRTNER, Die Welt als Erzählraum im späten Mittelalter, in: *ebd.*, S. 145-177.

[٦١] عن التأثير المتبادل بين الخرائط وتقارير الرحالة/الرحلات أنظر:

Ingrid BAUMGÄRTNER, Reiseberichte und Karten. Wechselseitige Einflüsse im späten Mittelalter? in: In Spuren reisen. Vor-Bilder und Vor-Schriften in der Reiseliteratur, hg. von Gisela ECKER (Reiseliteratur und Kulturanthropologie 6), Berlin 2006, S. 89-124.

[٦٢] تم إنشاء خريطة العالم إيبستورف حوالي عام ١٣٠٠، وكانت دائرية الشكل ذات قطر يصل لحوالي ثلاثة أمتار، إلا أنها تعرضت للدمار عام ١٩٤٣ أنظر:

Die Ebstorfer Weltkarte. Kommentierte Neuausgabe in zwei Bänden, hg. von Hartmut KUGLER, Berlin 2007.

[63] Al-Maqrīzī, Aḥmad Ibn ʻAlī, Ittiāẓ al-ḥunafāʾ bi-aḫbār al-aʾimma al-fāṭimīyīn al-ḫulafā‘, Kairo 1971-73, S. 292f. Zitiert nach der Übersetzung von Heinz HALM, Das Reich des Mahdi. Der Aufstieg der Fatimiden (875-973), München 1991, S. 332.

[٦٤] كما أن استقبال ابن حوقل في البلاط الفاطمي يدل على ذلك، راجع:

Ibn Ḥauqal: Configuration de la terre (Kitab Surat al- ard), introduction et traduction avec index par J.H. Kramers/ G.Wiet, Paris/Beirut 1964, S. XVI, wonach der ägyptischeGeographMuhallabī (gest. 990) zur Zeit des fatimidischen Kalifen al-ʿAzīz (975-969) in seinen Händen ein Manuskript Ibn Ḥauqals hielt, mit dem Titel “Kitāb al-Buldān” („Buch der Länder“). Zum Geographen Muhallabīsiehe auch den Artikel von Ch. Pellat, “al-Muhallabī.”, in: Encyclopaediaof Islam, 2. Aufl., hg. v. P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs, Brill Online, 2013.

[٦٥] أنظر حاشية ٢١.

[٦٦] أنظر حاشية ٢٢.

[٦٧] أنظر: HALM, Das Reich des Mahdi (wie Anm.62), S. 304

[٦٨]أنظر حاشية ٦٣.

[٦٩] أنظر:.Ibn Hauqal (wie Anm.20), S. 3

[70]HALM, Das Reich des Mahdi (wie Anm.62), S. 304.

[71]A. MIQUEL, Art. Ibn Hawkal, in: Encyclopaedia of Islam, Bd. 3, Leiden 1971, S.786-788, bes. S. 787

[72] Gerald R. TIBBETTS, The Balkhi-School of Geographers, in: The History of Cartography 2,1. Cartography S. 108-136

[73] in the traditional Islamic and South Asian Societies, hg. von John B. HARLEY und David WOODWARD, Chicago 1992

[٧٤]طبقًالابن حوقل ، فإن ذلك يعتمد على خريطة العالم للقوطيين، أنظر:

Ibn Ḥauqal: KitābṢūrat al-arḍ (wie Anm.), S. 5.

[75]Evelyn EDSON/Emilie SAVAGE-SMITH/Anna-Dorothee VON DEN BRINCKEN, Der mittelalterliche Kosmos. Karten der christlichen und islamischen Welt, Darmstadt 2005, S. 92.

تُصوِّر الخريطة الجنوبية لطالب المدرسة البلخية الاصطخري (علي سبيل المثال المرجع نفسه ص ٩٦)سطحًا دائريًا للأرض محاطًا بمحيط ويظهر ثلاثة بحار. يلتقي البحر الكبير- المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط- تقريبًا في منتصف الكتلة الأرضية اليابسة. ويُظِهر بحر قزوين على أنه بحر قاري داخلي. بالإضافة لذلك فيمكن التعرف على خليج القسطنطينية (خليج البوسفور) والنيل بالإضافة إلى ثلاث جزر في البحر الأبيض المتوسط بشكل دائري: قبرص وكريت وصقلية.

[76]Jürgen OSTERHAMMEL, Raumbeziehungen. Internationale Geschichte, Geopolitik und historische Geographie, in: Internationale Geschichte. Themen - Ergebnisse - Aussichten, hg. von Wilfried LOTH und Jürgen OSTERHAMMEL (Studien zur internationalen Geschichte 10), München 2000, S. 287-308, hier S. 291.

[77] Ibn Ḥauqal: KitābṢūrat al-arḍ (wie Anm.20), S.11.

[٧٨]انظر نفسه، ص ١٠: وبموجبها تنقسم الأرض إلى نصف شمالي وجنوبي عن طريق (البحر) المحيط ، ومن الصين عبر بحر الصين والهند، مروراً بالجزء الرئيسي الخاضع للحكم الإسلامي حتى الغرب ، حيث يُقسم البحر المحيط نفسه إسبانيا وطنجة إلى نصفين .

[٧٩] سورة ٥٥ (الرحمن)، الأية ٢٠ و ٢١ "بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٢١)"

[80] Ibn Ḥauqal, KitābṢūrat al-arḍ (wie Anm.20), S. 12.

[٨١]ذكر "كتاب الفضول" فيما يتعلق بخريطة العالم، بعض طبائع جزيرة أوروبا

Andreas KAPLONY, Ist Europa eine Insel? Europa auf der rechteckigen Weltkarte des arabischen, Book ofCuriosities', in: Europa im Weltbild des Mittelalters: Kartographische Konzepte, hg. von Ingrid BAUMGÄRTNER und Hartmut KUGLER (Orbis mediaevalis. Vorstellungswelten des Mittelalters 10),Berlin 2008, S. 143-156.

[82]Ibn Ḥauqal, KitābṢūrat al-arḍ (wie Anm.20), S. 18-41.

[83] Vgl. Halm, Das Reich des Mahdi (wie Anm. 62), s. 200.

[84] Ibn Ḥauqal, KitābṢūrat al-arḍ (Anm.20), S.205.

[٨٥]يحتوي الكتاب، من بين أمور أخرى، على ملاحظات حول روما وأثينا وأمالفي ومعلومات عن البابا، الذي تم وضعه في مرتبة البطاركة المسيحيين والذي لوحظ أهميته للحكم المسيحي.

[86] Ibn Ḥauqal, KitābṢūrat al-arḍ, Bd. 2 (wie Anm.20), S. 386ff.

[٨٧] هذا الموقع المركزي، الذي تأسس دينياً أيضًا، أكده بالفعل ابن حوقل في ملحق عمله عندما بدأ ،بعد وصف العالم، بوصف وخريطة شبه الجزيرة العربية.

[٨٨]أنظر حاشية 21.

[٨٩]انظر ، على سبيل المثال ، الملاحظات على المهدية ، العاصمة السابقة للفاطميين في شمال إفريقيا.

[90] Vgl. „Buch der Kuriositäten“ (wie Anm.21), II, fol. 29a, Kap. 6.

[٩١]نفسه.

[92] Vgl. SEZGIN, Geschichte des Arabischen Schrifttums (wie Anm.7), S. 92-97.

[93] Vgl. „Buch der Kuriositäten“ (wie Anm.21), II, fol. 29a, Kap. 6

[94]Ibn Ḥauqals Ausführungen über das Kaspische Meer als Binnenmeer werden vom Autor des „Buchs der Kuriositäten“ wörtlich übernommen. Vgl. „Buch der Kuriositäten“ (حاشـــــية ٢١), II, Kap. 2. EinerGegenüberstellungbeiderPassagenfindetsichbeiYossifRAPOPORT/Emilie SAVAGE-SMITH, The Book of Curiosities and a Unique Map of the World, in: Cartography in Antiquity and the Middle Ages. Fresh Perspectives, New Methods, hg. von Richard J. A. TALBERT und Richard W. UNGER (Technology and change in history 10), Leiden u.a. 2008, S. 121-138.

[95] Vgl. „Buch der Kuriositäten“ (wie Anm.21), II, fol. 29a, Kap. 6.

[96]Vgl. dazu KAPLONY, Ist Europa eine Insel? (wie Anm.80).

[97]Emilie SAVAGE-SMITH: Das Mittelmeer in der islamischen Kartographie des Mittelalters, in: Das Meer, der Tausch und die Grenzen der Repräsentation, hg. von Hannah BAADER und Gerhard WOLF, Zürich-Berlin 2010, S. 239–262, hier S. 257.

[98] Hubert HOUBEN, Roger II. von Sizilien. Herrscher zwischen Orient und Okzident (Gestalten des Mittelalters und der Renaissance), Darmstadt 2010.

[٩٩]يشير هذا إلى طريقة استخدمها الجغرافي سهراب في القرن العاشر. انظر المرجع نفسه، ص ٩٦.

[١٠١]أنظر: “Buch der Kuriositäten“(wie Anm.21), II, fol. 29a, Kap. 6

[١٠٢]نفسه

[١٠٣]اسم البحر العربي في العنوان هو "البحر الغربي" (بحر الغرب)، أي "البحر السوري" (بحر الشام). انظر: Buch der Kuriositäten(انظر الحاشية ٢١) ، ٢ ، ص ٣٠ ب -٣١ أ ، الفصل. ١٠.

[104]SAVAGE-SMITH, Das Mittelmeer (wie Anm. 96), S. 251, bes. Anm. 26.

[105]SAVAGE-SMITH, Das Mittelmeer (wie Anm. 96), S. 251, bes. Anm. 26.

[١٠٦]فيما يخص الأسطول الفاطمي أنظر:

vgl. Yaacov LEV, State and Society in Fatimid Egypt (Arab History and Civilization 1), Leiden u.a. 1991, insbesondereKapitel 6 „The Fatimid Army and Navy and the Crusades “, S. 93-121. Vgl. auch David BRAMOULLE, Activités navales et insfrastructures maritimes: les éléments du pouvoir fatimide en Méditerranée orientale (969 – 1171), in: Les ports et la navigation en Méditerranée au Moyen Âge: actes du colloque de Lattes, 12.-14. Novembre 2004, Musée Archéologique Henri Prades, hg. von Ghislaine FABRE, Daniel LE BLEVECund Denis MENJOT, Paris 2009, S. 257-274.

[١٠٧] فقط خرائط العالم في "كتاب الفضول" تحتوي علي جزر

[108]SAVAGE-SMITH, Das Mittelmeer (wie Anm.96), S. 251.

[١٠٩]فيما الأخبار عن" شارلمان"،فقد أخبر مؤرخه "أينهارد" عن وجود طاولة فضية في منزله مرسوم عليها خريطة العالم، تحدث أيضًا عن خرائط العالم المماثلة لدي حكام أخرين أنظر:

Ingrid BAUMGÄRTNER/Stefan SCHRÖDER, Weltbild, Kartographie und geographische Kenntnisse, in: WBG Weltgeschichte. Eine globale Geschichte von den Anfängen bis ins 21. Jahrhundert. Bd. 3: Weltdeutungen und Weltreligionen. 600-1500, hg. von Johannes FRIED und Ernst-Dieter HEHL, Darmstadt 2010, S. 57-83, hier S. 74.

[110]Vgl.Ingrid BAUMGÄRTNER, Europa in der Kartographie des Mittelalters. Repräsentationen- Grenzen-

[111]Vgl. Verena KLEMM, Die Mission des fatimidischen Agenten al-Mu’ayyadfi Din in Shiraz, Frankfurt/Main 1989.

[112]Der vollständige Titel lautet „Kurzweil dessen, der die Welt durchschweifen möchte“ (Nuzhat al-muštāqfīiḫtirāq al-āfāq), vgl.SAVAGE-SMITH, Das Mittelmeer (wie Anm.96), S.260.

[113] Heinz HALM, Die Kalifen von Kairo. Die Fatimiden in Ägypten 973-1074, München 2003, S. 206-209.

[114]Aziz AL-AZMEH, Ibn Khaldun, London 1990; DERS.: Ibn Khaldun. An Essay in Reinterpretation, Budapest 2003; Michael BRETT, Ibn Khaldun an the Medieval Maghrib, Aldershot 1999; Walter J. FISCHEL, Ibn Khaldun in Egypt. His Public Functions and his Historical Research (1382-1406), Berkeley u.a. 1967; Allen James FROMHERZ, Ibn Khaldun. Life and Times, Edinburgh 2010; Muhsin MAHDI, Ibn Khalduns Philosophy of History. A Study in the Philosophic Foundation of the Science of Culture, London 1957; Nassif NASSAR, La pensée réalisted’ibn Khaldun, Paris 1967; HeinrichSIMON, Ibn KhaldunsWissenschaft von der menschlichen Kultur (BeiträgezurOrientalistik 2), Leipzig 1959

[115] Ibn Ḫaldūn, Muqaddima (wie Anm.22).

[116] Vgl. zum heutigen wissenschaftlichen Gebrauch dieses Begriffes im Bezug auf IbnḪaldūns Werk AbdesselamCHEDDADI Ibn Khaldun et le Science de la Civilisation, Paris 2001

[117] Ibn Ḫaldūn, Muqaddima, I, (wie Anm.22), S. 73-81.

[١١٨]أنظر، نفسه، ص 87.

[١١٩] أنظر، نفسه، ص 90-88.

[١١٩]للخريطة أنظر هنا:

EDSON/SAVAGE-SMITH/VON DEN BRINCKEN, Der mittelalterliche Kosmos (wie Anm.74), S. 100: „Wenn das Buch der Kuriositäten in den Jahren 1020-1050 zusammengestellt wurde, worauf momentan alles hindeutet, stammt die allgemein als „Karte des al-Idrisi“ benannte Weltkarte nicht von ihm, sondern wurde bereits vor seiner Geburt entworfen.“ Möglicherweise, so vermuten die Forscherinnen, wurde die Karte dem Werk des Idrisi nur beigefügt; Idrisi selbst nämlich erwähne diese Karte nicht. Ebenso „könne aber auch an eine gemeinsame Quelle gedacht werden, die dem Typ von Weltkarten zuzuordnen sind“ (ebd.).

[121] Ibn Ḫaldūn, Muqaddima, I, (wie Anm.22), S. 88

[١٢٢]نفسه

[١٢٣]نفسه ص ٩٣.

[124]Andrew C. S. PEACOCK, Black Sea Trade and the Islamic World down the Mongol Period, in: The Black Sea. Past, Present and Future. Proceedings of the International, Interdisciplinary Conference, Istanbul, 14.-16. October 2004, hg. von GüldenERKUT (Monograph. British Institute of Archaeology at Ankara 42), London 2007, S. 65-72.

[125] Eratosthenes von Kyrene, Hipparchos von Nicäa und Poseidonios von Apameia.

[١٢٦]أنظر، المرجع السابق، ص 33.

[١٢٧] نفسه، 34.

[128] Ibn Ḫaldūn, Muqaddima, II, S. 32-40

[١٢٩] أنظر، نفسه، ص 33.

[١٣٠]نفسه، ص [35].

[١٣١]نفسه، ص [36].

[١٣٢] أنظر، نفسه، ص38 .

[١٣٣]أنظر، نفسه، 40.

[١٣٤] أنظر، نفسه، 40.

[135]ZumZivilisationskonzept IbnḪaldūnsvgl. Anm. 115.

[136]HOURANI, ArabSeafaring (wie Anm.8), S. 61.

[١٣٧] تظهر الاختلافات الإسلامية الداخلية أو النقاط المحورية طبقاً للمصالح البحرية. فعلي سبيل المثال، يؤكد ابن خلدون أن التطلعات إلي القوة البحرية ومعرفة البحر ترتكز فقط علي السلالات الحاكمة في شمال افريقيا وأيبيريا.

[138] FUESS, Verbranntes Ufer (wie Anm.3), vgl. dazu auch FROMHERZ, Ibn Khaldun (wie An.113), S. 24.

[139] Michael BORGOLTE, Kommunikation - Handel, Kunst und Wissenstausch, in: WBG Weltgeschichte. Eine globale Geschichte von den Anfängen bis ins 21. Jahrhundert, Bd. 3: Weltdeutungen und Weltreligionen. 600-1500, hg. von Johannes FRIED und Ernst-Dieter HEHL, Darmstadt 2010, S. 17-56, hier S. 21.

[140] Vgl. Nikolas JASPERT, Austausch-, Transfer- und Abgrenzungsprozesse. Der Mittelmeerraum, in: Die Welt 1250-1500, hg. von Thomas ERTL und Michael LIMBERGER (Globalgeschichte. Die Welt 1000-2000, Bd. 2), Wien 2009, S. 138-174.

[141] FROMHERZ, Ibn Khaldun (wie Anm.113), S. 24.

[142] BORGOLTE, Kommunikation (wie Anm.138), S. 21.

[143] Felipe FERNÁNDEZ-ARMESTO, Before Columbus. Exploration and Colonisation from the Mediterranean to the Atlantic 1229-1492, London u.a. 1987.